

روائع الأدب العالمي للناشئين

هي أو عائشة

تأليف: سير هنري رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين



هي أو عائشة

هري أو عائشة

تأليف: سير هنري رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين

مراجعة: مختار السويضي

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التثويرية وأهدافها
النهيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر
التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات
الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا
الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات
والمعرفة.

د. سمير سرحان

مقدمة

يتميز الأديب الانجليزي العظيم « سير هنري وايدر هاجارد » بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيرة ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .

وإذا بدا القارئ في قراءة السطور الأولى من أية رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد

عنييه من السطور التالية ، ولا يستطيع ان يؤجل
القراءة الى وقت آخر ، او يتوقف عند فصل معين ..
ولا يترك الا ان يواصل القراءة الممتعة حتى آخر
كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الأسر ، وبالأحداث
المثيرة المبهرة التي تأخذ الألباب .

وقد قطنت السينما العالمية الى تلك الخاصية
الديناميكية التي يتميز بها « الحدث » في أعمال هذا
الأديب القدير ، فأخرجت معظم رواياته في أفلام
ضخمة حازت شهرة عالمية ، وما زالت تلقى نفس
الرواج والاقبال الذي لاقته منذ انتاجها لأول مرة
منذ عشرات السنين .

ولد هنري رايبر هاجلوند في برادنهام هول
بمدينة نورفولك بإنجلترا في ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٦ ،
ومات في لندن في ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ من عمر يناهز
الستين عاما ، قضاه في حياة حافلة بشتى المشاغل
والهوايات .. فمن ممارسة مهنة المحاماة الى تقلد
الوظائف الحكومية ، الى ممارسة حرفة الزراعة التي
ألف فيها كتابا .. الى ان أدركه حرفة الأدب

فمارسها كهواية أبدع فيها مجموعة من الروايات الشهيرة التي صدرت منها عشرات الطبقات .. وأغلب الظن أنها ستجد طريقها الى المطابع مرات أخرى ومرات ، لتصدر بمختلف اللغات التي ترجمت اليها في الماضي ، وستترجم اليها في المستقبل .

وقد عمل هنري وايلد هاجوارد فترة طويلة من حياته بالإدارة القانونية لأقليم الترنسفال بجنوب إفريقيا ، حين كن هذا الإقليم خاضعا للاستعمار البريطاني .

ولذلك فلم يكن من الغريب أن نرى معظم رواياته الأدبية تدور أحداثها في إفريقيا .. ولم يكن غريبا أيضا أن يؤلف كتابا من أساليب وتاريخ الاستعمار في إفريقيا .. وقد منح لقب « سير » في عام ١٩٢٥ تقديرًا لخدماته للإمبراطورية البريطانية .

ولعل أشهر رواياته التي يعرفها قراء الأندب وأحبابه في مختلف أنحاء العالم روايات : « الفجر » ١٨٨٤ .. و « كنوز الملك سليمان » ١٨٨٥ ..

و « هي أو عائشة » و « نجمة الصباح » ١٨٨٧ ..
 بالإضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل
 « كيتوي وجيرانه البيض » ١٨٨٢ .. و « أيريك
 برايتيس » ١٨٨٣ .. و « ابنة مونتروما » ١٨٩٣ ..
 و « شعب الفسباب » ١٨٩٤ .. و « سوالو »
 ١٨٩٨ .. و « ابن العاطفة » ١٩٠٣ .. و « آلان
 المجوز » ١٩٢٠ .. و « هي آلان » ١٩٢١ ، فضلا
 عن مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية مثل
 « انجلترا والزراعة » ١٩٠٢ .. و « النمسا
 والزراعة » ١٩١١ .. وكتاب « الفقير والأرض »
 وكتاب « أيام حياتي » الذي سجل فيه ذكرياته
 وتفاصيل حياته الحافلة . وقد صدر هذا الكتاب
 الأخير سنة ١٩٢٦ أى بعد نحو عام من وفاته .

« رئيس التحرير »

(١) كيف وصلتني هذه القصة

كنت أسير ، ذات يوم ، في شارع في مدينة
كمبريدج ، مع صديق ، عندما لاحظت رجلين يتقدمان
نحونا ، وقد تابط أحدهما ذراع الآخر . . وكان الفتى
في الواقع أروع شاب رأيته في حياتي ، طوله ستة
أقدام ، ووجهه كامل الجمال . وعندما رفع قبعته

تحية لسيده كانت تمر بجانبه ، رايت ان شعر رأسه
كان ذهبيا فاتحا .

وقلت لصديقي : يا له من رجل رائع المظهر .. :

واجلب : نعم نعم .. انه ابهى شاب في الجامعة
وواحد من أفضلهم .. الآخرون يطلقون عليه اسم
« الآله الاغريقى » .. الا ان اسمه الحقيقى هو
« فينسى » . ولكن انظر الى الرجل الآخر .. ان اسمه
« هولى » وهو مريب « فينسى » .. وله الولاية على
الشاب حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر ..
بعض الناس يطلقون عليهما اسم « الوحش
والجمال » !

نظرت الى الرجل الأكبر سنا .. كان فى حوالى
الأربعين من العمر ، قبيحا دميما ، بقدر ما كان الآخر
جميلا رائعا .. كان قصيرا متين البنيان .. وكانت
ذراعاها بالفتى الطول .. وكان شعره داكنا وعيناه
جد صغيرتين . واذا نظرت اليه خطر على بالك فورا
ذلك القرد الضخم المعروف باسم « السعدان » قصر

الدبل قبيح المنظر .. الا ان شيئا ما في عينيه كان
يجذبك اليه على الفور ويحببك فيه .

قلت لصديقي : انى اُجب ان التقي بهما !

فقدانى صديقى اليهما وبقينا نتكلم مدة ..
تكلما من افريقيا لانى عدت توا من هناك .. وعندئذ
فقط مرت بنا سيدتان وكان واضحا ان « فينسى »
يعرفهما ثم حدث شيء غريب ، فبينما استدار
« فينسى » ليكلم السيدتين ، توقف « هوللى » عن
الكلام واستدار وعبر الشارع وبدا واضحا انه كان
يخاف السيدات كما يخاف معظم الناس من حيوان
مجنون . !

وفى عصر ذلك اليوم غادرت كمبريدج ، ولم أفكر
كثيرا فى هذا الأمر لمدة سنوات عديدة .. ثم تلقيت
فقط منذ شهرين تقريرا خطابيا ، وعندما نظرت فيه
ووجدت ان اسم مرسله « هوراس هوللى » استفرقنى
ذلك بعض الوقت حتى اذكر ذلك الرجل ! ..

ويقول الخطاب :

سيلي ..

قابلتك منذ خمسة أعوام في شارع من شوارع
كمبريدج . وكنت حينئذ مع « ليوفينسي » وكنت ،
منذ بعض الوقت ، قد قرأت كتبك « كنوز الملك
سليمان » و « الآن كوترمين » .. انهما طبعاً من
قصص الرحلات والحوادث الغريبة في افريقيا .

والقصتان في جانب منهما واقعتان وخياليتان
في الجانب الآخر .

انى ارسل اليك هنا حزمة من الأوراق تروى
لك أشياء حدثت لنا ، انا و « ليوفينسي » وكانت
هذه الأشياء جد غريبة بحيث ارجو أن يمكنك أنت
أن تصدقها .. هذا وأنا « وليوفينسي » متفقان على
أن القصة يجب أن تنشر على الناس . ونحن على
و شك أن نغادر لفرض سيمتلك طبعاً أن تخمنه بعد
أن تقرأ قصتنا وتشرف على طبعها . كما أرسل اليك
الخاتم والقطعة المهشمة من الأبريق الذي تحدث عنه
الأوراق ..

ليس لدى أشياء أضيفها الى ما هو مكتوب
هنا . من كانت « هي » ؟ من أين أتت ؟ كيف جاءت
الى كهوف « كور » ؟ .. لم نعرف ابدا الاجابة على
هذه الأسئلة ؟ .. وربما لن نعرف ابدا او ربما ..
اتنا ، كما قلت ، ذاهبون في رحلة . وأرجوكم أن تتولى
هذه الأشياء حتى نسأل عنها ثانية ، اذا عدنا ..

المخلص « ل . هوراس هوللى »

هذه هي القصة التى وصلتني على هذا النحو
الغامض ..

« هـ . رايدر هاجارد »

(٢) كيف جاء الصندوق الحديدي الى هولى

انا « لودفيج هوراس » كنت جالسا ذات ليلة
في غرفتي بكمبريدج منذ عشرين عاما مضت .. وكان
الوقت متاخرا ليلا ، وكنت اعلم اننى سأؤدى امتحانا
في بحر اسبوع لو نجحت فيه لأمكن لى ان اصبح
مدرسا في الجامعة .. وكنت عند ذاك ، كما انا الان ،
رجلا بلا اصدقاء ! .. اننى ، كما اعرف جيدا ، انسان .

قبيح دميم الشكل . نعم ، ان لى جسما قويا الى
درجة غير عادية الا ان شكلى ومظهرى جعلنا الناس
يطلقون على اسم القرد « السعدان » وجعلنى هذا
اخاف النساء جميعا . على اننى مع ذلك لست مولعا
بصحبة اقرانى من الرجال .

فى تلك الايام عندما كنت ادرس فى كامبريدج
كان لدى اصدقاء قليلون ، ومن بين هؤلاء كلن هناك
شخص اسمه « فينسى » .. وكلن - ويا الغرابة
لهذا .. ! - من ابهى الرجال الذين سبق لى رؤيتهم .

وجلسنا استذكر دروسى متأخرا ذات ليلة
فسمعت طريقة خفيفة على الباب . وكانت ليلة شديدة
البرودة . وتذكرت حينئذ ان صديقى « فينسى » كان
مريضا وظننت انه ربما يكون هو فاسرعت افتح
الباب ..

وكان فعلا هو « فينسى » ، ويكاد يقع ارضا من
الضعف ، وكان وجهه شديد البياض مشدودا من

الآلم وكان هناك خيط رفيع دقيق من الدم يسيل من
فمه . وكان يحمل صندوقا ثقيلًا من الحديد ..

وضع الصندوق جانبًا ثم تهاوى في مقعده ،
وظل دقائق لا يستطيع الكلام .. وصببت بعضًا من
النبيذ وقدمت الكأس إليه . ولما شربه بدا أفضل
حالا إلا أنه كان فعلا رجلا مريضًا ..

قلت : دعنى اذهب فاحضر لك طبيبًا !

واجاب : كلا يا « هولى » .. لقد انتهيت ! ولن
يكون فى مقدورى أن أراك غدا ! .. وما من طبيب
يستطيع أن يساعدنى .. ! والآن انظر الى بدقة
واصغ الى جيذا فانك لن تسمعنى اتكلم ثانية . لقد
كنا اصدقاء مدة طويلة .. فل لى .. ماذا تعرف
عنى ؟

— اعرف انك غنى .. وانك جئت الى الجامعة
عندما أصبحت اكبر من معظم الفتيان هنا .. وأعلم
أيضا انك كنت متزوجا .. وأن زوجتك ماتت ..
وأعلم كذلك انك كنت أيضا أفضل صديق لى .. !



و سقط علی کرسیه ..

— هل عرفت أن لى ابنا .. ؟

— كلا .. !

— نعم ، لدى ابن . انه فى الخامسة من عمره .
ماتت أمه عندما ولد . ومن أجل ذلك لم أعد أرغب
فى رؤيته .. ! « هولى » ! .. انى أريد أن أجعلك
وليا على ابنى !

قفزت من مقعدى قائما و هتفت قائلا : انا . ! ! ؟

— نعم . لقد كنت أبحث عن شخص أعهد اليه
بابنى .. وبهذا الشيء ! وأشار الى الصندوق
الحديدى .. وانت ذلك الرجل يا « هولى » .. انت
قوى وأمين وعطوف ! .. اسمع .. ان هذا الولد
سيكون آخر شخص باق من أقدم العائلات فى العالم !
قد تضحك على ما أقول الآن ! .. ولكن فى يوم من
الأيام سيثبت لك فوق كل شيء اننى من سلالة
خمس وستين جيلا من الأجيال المتعاقبة ، بدأها
قديما جندى اغريقى كان يعمل فى خدمة فرعون ملك
مصر القديمة . وكان اسمه « كاليكريتس » ..

و « كالى » كما تعلم ، كلمة يونانية معناها « جميل »
و « كريتس » معناها « القوة » .

ان ابن هذا الجندى قد اصبح كاهنا للربة
ايزيس . وكان ذلك منذ حوالى الفى عام مضت .
ووقع الكاهن فى حب اميرة من اسرة فرعون . وترك
هو والاميرة بلاد مصر سرا ، وهربا على ظهر سفينة ..
ودفعت الريح بسفintهما الى ساحل افريقيا . وقتل
جميع من كانوا على ظهرها سوى كالكريتس
والاميرة ثم انقذتهما ملكة بيضاء جميلة تحكم شعبا
من المتوحشين .. !

وعاشا فى منزلها .. وستعرف القصة من
الوثائق الموجودة فى هذا الصندوق ، وستعرف ايضا
ان هذه الملكة قد قتلت كالكريتس ، وان الاميرة فرت
بطفلها الى اليونان ..

ان الطفل واطفاله واطفالهم قد حملوا جميعا
اسم « فتديكس » وهو اسم لاتينى معناه المنتقم ،
وهو الذى سيتولى تظييص الحق من فاعل الجرم .
وتحركت العائلة ، كما مضت السنون ، من

اليونان الى روما .. ومن روما الى فرنسا .. ومن
فرنسا الى انجلترا .. وتحول اسم « فينديكس »
نفسه الى « فينسى » .

ان الأشياء التى داخل هذا الصندوق قد انتقلت
من الأب الى الابن .. ثم اعطاها أبى لى .. وكان
الأمل دائما هو أن يقوم واحد منهم ، فى وقت ما بهذا
الانتقام من جريمة القتل التى وقعت منذ مئات
الأعوام على يد الملكة البيضاء فى افريقيا . لقد حاولت
انا أن أقوم بواجبى . حاولت أن أعثر على المكان
الموصوف فى ذلك الصندوق ولكنى لم أظفر بنجاح .

وفى طريق عودتى من افريقيا التقيت بزوجتى ،
وماتت وهى تلد ابنى « ليو » .. ثم استدرت انا
عائدا الى العمل ثانية وفكرت قبل أن اذهب الى
افريقيا من جديد أن اتعلم اللغة العربية .. ولهذا
جئت الى هنا ، الا ان الوقت الآن قد تأخر .. !!

واستطعت أن أرى انه على حق . ان الوقت
متأخر فعلا . واذ رقد هو على ظهر مقعده فاقد

الأنفاس بعد أن تكلم حتى هذا المدى ، فقد أصبحت
شفتاه يعضاوين .. كما كانت علامات الموت تبدو
واضحة على وجهه .. !

وأخيرا تكلم من جديد ..

— انى أسالك أن تتولى أمر ابنى « ليو » عندما
أموت .. وعلى هذه الورقة كتبت الأشياء التى أحب
ابنى « ليو » أن يتعلمها .. وعندما يصل الخامسة
والعشرين من العمر ، افتح هذا الصندوق .. دعه
يرى ما فيه ويقراه وأن يقرر ما إذا كان على استعداد
للقيام بالواجب الملقى عليه .. هل تفعل هذا من أجلى
أذن ؟ .. انى أتوسل اليك وأنا على وشك الموت
أن تقبل منى هذا الطلب !

— وكيف أستطيع أن أرفض هذا الطلب !!!

— وداعا يا صدىقى !

قال هذا وهو يأخذ بيدي .. ثم خرج الى المدينة
المظلمة ..

بدأت قصته اغرب قصة وقعت لى وحوادثها أكثر
الأشياء التى سمعت جنونا . ! ولكنه كان صديقى
ولم يكن بد من أن يتولى شخص أمور هذا الطفل
الذى كان عمره خمسة أعوام فقط .

وبقيت أنا غير قادر مدة طويلة على النوم
وفكرى كله يدور حول هذا الأمر واتساءل عما إذا كنت
قد فهمت تماما ..

وبدوت كأننى كنت نائما لمدة خمس دقائق فقط
عندما سمعت صوت خادمى يدهونى فقلت :

— ما الأمر يا « جون » ؟

سألته عندما رايت وجهه قد ابيض تماما وبدأ
فى عيشيه أن شيئا قد اخافه فقال :

— ذهبت لأنادى المستر « فينسى » .. وهناك
وجدته راقدًا .. وقد مات !

(٣) ليو . . يكبر وينمو

أخذت الصندوق الحديدى معى الى لندن
ووضعتة فى خزانة الحفظ .

ووجدت منزلا ملائما لى وللصبي فى كمبريدج .
وطبعاً لم أرد أن تكون فى المنزل امرأة . . لقد كان
الولد اكبر سناً من أن يحتاج الى امرأة . . وبشئ
من الصعوبة وجدت رفيقا شابا اسمه « جوب » كان

أكبر أفراد عائلة تتكون من ثلاثة عشر عضوا ..
وبذلك كان قد اكتسب الكثير من التجارب في رعايته
لأشقائه وشقيقاته الصغار ..

وأخيرا وصل الطفل في صحبة امرأة بكت عندما
تركته . كان أجمل طفل وقمت عليه عيناي . كان
وجهه شديد الشبه بوجه أبيه ، ولكن له نفس الشكل
المتكامل وعلى رأسه شعر ذهبي ناصع ، وأذكر جيدا
كيف وقف هناك وضوء الشمس الهابط من النافذة
يلهو بشعره . كنت جالسا في مقعدي .. وكان
« جوب » واقفا في الركن ممسكا بحصان خشبي
في يده ..

وقف الصبي ونظر الى ثم مد يده وجرى نحوي
قللا :

- اني احبك .. انت دميم الشكل .. ولكنك
طيب القلب !

نما الطفل « ليو » وأصبح صبيا ، ثم أصبح
الصبي شابا ، واذا أخذ ينمو فقد نما معه جماله ونمت

قوله ، والبعث بحرص ودقة أوامر والده حول
مدرسته وتعليمه . تعلم اليونانية والعربية ، وتعلمت
أنا أيضا العربية حتى أصبح رفيقا له .. وعندما
وصل الثامنة عشرة من العمر ذهب الى الجامعة وبعد
ذلك درس القانون ..

كان أمامي شيء واحد اتعنى فيه « ليو » أثناء
كل هذا الوقت ، ذلك أن كل امرأة رأتها وقعت في
حبه .. وسبب لنا هذا بعض الصعاب إلا أنه ، على
أى الأحوال ، كان شابا طيبا جدا ، أكثر اهتماما
 بالرياضة ودروسه ورفاقه الرجال منه بالنساء ..
فكان كل شيء في النهاية خيرا وعلى ما يرام .. وهكذا
حتى احتفلنا بعيد ميلاده الخامس والعشرين ..

(٤) فتح الصندوق الحديدى

فى اليوم السابق على عيد الميلاد الخامس والعشرين ، ذهبنا الى لندن وعدنا بالصندوق الى كمبريدج .. وقررنا أن نفتح به الإفطار غداً اليوم التالى على يوم ميلاده .

وعلى ذلك فانه بعد الإفطار أحضر « جوب »

الصندوق الى غرفة الجلوس وكان على وشك مغادرة
الحجرة فقلت « انتظر لحظة » يا « جوب » .. اذا
لم يكن يضريك هذا يا « ليو » فاتى احب ان يبقى
« جوب » معنا . يجب ان يكون هناك شخص ثالث
ليرى ان كل شيء صحيح ..

قال « ليو » : نعم بالطبع دعه يبقى معنا !

اخذت المفاتيح التى اعطانيها ابو « ليو » ليلة
موته ، من هذا الصندوق الذى يحتوى على ائمن
الملوكات .. كان هناك ثلاثة مفاتيح ، واحد منها
حديث والثانى من طراز قديم .. اما الثالث فلم يكن
يشبه ابدا مفتاحا رأيت من قبل .. كان قضيبا من
الفضة بقطعات على طرفه ومثبتا عرضيا بقضيب
فضى آخر .

اخذت المفتاح الاول وفتحت الصندوق الحديدى
وساعدنى « ليو » على ازالة الغطاء الثقيل .. وفى
داخه كان هناك صندوق آخر مصنوع من الخشب

الأسود . وكان عمره فيما يبدو كبيرا ذلك أن الخشب الجاف الثقيل قد تآكل وتحول الى تراب ..

واخلدت المفتاح الثانى وفتحت الصندوق الأسود وبداخله كان يوجد صندوق فضى يبلغ حجمه اثنتى عشرة بوصة وارتفاعه ثمانى بوصات . وكان مغطى برسوم مصرية قديمة ومنحوتا نحتا جميلا من المعدن . اخذته ووضعته على المنضدة ثم فتحت بالمفتاح الفضى الغريب الشكل .

داخل الصندوق الفضى كانت هناك قطعة من الورق مكتوبة بخط صديقى المتوفى يقول : الى ولدى « ليو » .. وبعد ذلك تناولت لفافة من الورق كتب على فمها : الترجمة الانجليزية للكتابة الاغريقية على الابريق ..

وتحت هذا كان هناك شيء مربوط فى قطعة من قماش اصفر . فتحت قطعة القماش ووجدت فى داخلها قطعة محطمة من ابريق كبير . وفى داخل هذه القطعة المحطمة رايت كتابة كثيرة . وتمت الكتابة بأيد

عديدة مختلفة وبلغات متباينة ولكن الجزء الخارجى
قد غطى بقدر كبير من الكتابة المتزاحمة وكلها بلغة
اعرف انها الاغريقية .. وفى وقت ما انكسر وتحطم
الى قطعتين ثم ضل معا مرة ثانية ..

سأل « ليو » : هل هناك شىء آخر ؟

وتحسنت قاع الصندوق وجذبت شيئا ثقيلا
جافا موضوعا فى حقيبة . وعثرنا على خاتم مزين
بحجر كبير داكن اللون وعلى الحجر ثلاثة رسوم
محفورة عليه ..

كانت هذا الرسوم كتابة مصرية معناها « ابن
رع » ، و « رع » هو الاله الشمس . وفى نفس الحقيبة
كانت صورة أم « ليو » الاغريقية قد كتب خلفها :
« زوجتى العزيزة » .

وقلت : هذا كل شىء !

وضع « ليو » صورة امه وقال : « فلنقرأ
الخطب » !



.. الكتابات على القدر



.. الكتابات على الخاتم

« ولدى ليو ..

عندما تفتح هذا الخطاب ستكون قد بلغت الخامسة والعشرين .. وسأكون أنا قد بلغت الموت ونسيت كل من عرفوني .. وسيكون « هولى » قد أخبرك بالقليل عن تاريخ الأسرة الماضى . وفى هذا الصندوق ستجد قصة جذ غريبة كتبها مرة منذ وقت طويل على قطعة محطمة من إبريق افريقى .. أخبرنى أبى بهذه القصة عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمري وخرجت استقصى لأكتشف ما اذا كانت القصة واقعية . وذهبت الى ساحل افريقيا ، شمال مصب نهر زامبيزى .. انها جزء معروف للقلائل ولا يزورها احد تقريبا وفيها تبدو صخرة كبيرة تشبه رأس رجل افريقى . ومثل هذا التل موصوف فى الكتابة الموجودة على الابريق ..

وصلت الى هناك وقابلت رجلا طرده أهله بسبب خطا ارتكبه وقال لى :

— بعيدا هناك داخل الديار يوجد بلد فيه جبال شكلها كالأكواب .. وهناك عدد من الكهوف الكبيرة ..

وحول هذه البلاد توجد أرض منخفضة تبتلع الرجال الذين يحاولون عبورها .. الا اذا كانوا يعرفون ما فيها من ممرات آمنة . وفي تلك الجبال والكهوف يعيش شعب يتكلم العربية وتحكمه امرأة بيضاء جميلة ولا يرونها الا نادرا وهى ذات سلطان كامل ، على كل الناس والأشياء ، الحى منها والميت .. !

كان الرجل مريضا جدا عندما قال لى هذا .. ومات بعد يومين ، وسقطت انا ايضا مريضا .. واضطرت الى العودة الى سفينتى .. وفى طريق عودتى الى انجلترا وقفت باليونان .. وهناك التقيت بوالدتك ..

اعتقد ان هذه القصة مكتوبة على ابريق محطم . وهى قصة حقيقية .. واعتقد كذلك ان هناك طريقة يمكن بها ان نجعل شعبا يعيش ويعيش .. الى الأبد .. !

قد تظن ان هذه القصة ان هى الا خرافة شخص مجنون ، وقد تظن انه (حتى اذا كانت

حقيقية) فانه ليس من الحكمة ان تكون على صلة
بمثل هذه القوى المجيبة .

اذا رايت هذا الراى فما عليك الا ان تدمر هذه
الأوراق وان تدمر ما على الأبريق من كتابة .. !
ولا تدع أطفالك وأطفال أطفالهم تزعمهم بعد الآن تلك
القصة الخطرة الحمقاء . أو قد ترغب - كما رغبت
أنا - أن تعرف ما اذا كانت القصة واقعية . أم لا ..
وقد تقرر ان تذهب وأن ترى بنفسك .. لك أن تختار
وداعا .. !

قال « ليو » : حسنا .. ماذا تظن أنت
يا « هولى » ؟

- اظن ان أباك كان مجنوناً . ظننت هذا منذ
عشرين عاماً عندما جاء الى غرفتى بهذا الصندوق !

قال « جوب » : انه مجنون حقاً !

- حسناً . فلننظر ماذا تقول الكتابة على
الأبريق ..

واخذ « ليو » النسخة الانجليزية وقرا ما يلى :

— انا « امينارتاس » من عائلة فرعون .. انا زوجة « كاليكريتس » .. اكتب هذا لابنى الصغير الذى اسميته « المنتقم » .. اكتبها لأنى لن البث ان اموت . عندما ذهبت انا وابوك على ظهر مركب من مصر جئنا الى الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك اقلت بنا عاصفة قرب صخرة تشبه رأس رجل افريقى . فقد مات كل الرجال الذين كانوا على السفينة ، ولكن رجالا متوجشين جلبونا بعد رحلة عشرة ايام الى أن وصلنا الى جبل حيث كانت تظهر آثار مدينة قديمة كبيرة .. ولكن هذه المدينة العظيمة قد دمرت منذ وقت بعيد .. وداخل الجبل توجد كهوف كبيرة . وجلبنا هؤلاء الرجال الى ملكة شعب يضع رجاله القدور على رموس الأجانب الغريباء .. !

هذه الملكة ساحرة وتعلم كل أسرار الحياة والجمال وهى لا تموت أبدا .. واحبت « كاليكريتس » وارادت أن تقتله واخذتنا الملكة الى كهف كبير ..

بعيدا تحت الأرض .. وفيه كانت « نار الحياة » ! ..
وقفت هي في قلب النار وخرجت دون ان تبسها هذه
النار بضر او تنقص من جمالها .. ثم قالت لكاليكريتس
« اقتل زوجتك .. وهبني نفسك .. وسأبقى عليك
حيا لا تموت .. ذلك انى انا لا اموت وستعيش
انت الى الأبد » .. ولكنه لم يرض .. ثم غضبت
الملكة وقتلته .. ولكنها لم تستطع ان تقتلنى انا لأنى
أعرف سحر القوم . أرسلتنى الى مصب النهر حيث
ترد السفن الكبيرة . وهكذا وصلت اثينا .. والآن
أقول لك يا ولدى « المنتقم » اعثر على هذه المرأة
واكتشف سرها في الحياة .. واقتلها من أجل أبك
« كاليكريتس » .. واذا فشلت انت فاجعل ابنك
يفعلها او اطفال اطفالك .. حتى يأتى واحد منهم
تكون له الشجاعة ان يؤدى واجبه .

قلت : حسن يا « ليو » الآن تستطيع ان تقرر
ماذا تفعل في ذلك انى أعلم ماذا يدور في ذهنى ان
الابريق والكتابة واقعيان حقيقيان .. انها اغريقية
قديمة ولكنى اظن ان آلامها وشكواها وفقدانها زوجها

قد دفعا بالمرأة الى الجنون فكبت هذا .. ولكنها
لم تكن كاملة الرشاد عندما كتبت هذا ..

— اظن انه لا توجد كلمة حق واحدة في القصة
يا سيدى وانى لأرجو يا مستو « ليو » ألا يكون لك
يد في هذه التثنون .. انه لا يمكن أن يأتى منها
خير .. !

وقال « ليو » : ربما كنتما على حق انتما الاثنان
ولكنى أقول هذا : سأقوم انا بحل هذه المشكلة ..
فاذا لم تكن صادقة سأكون اذن قد انهيتها ..
ووضعت خاتمة لها وتوقف . ثم قال : اذا لم تجيئا
معى فسأذهب وحدى ..

فقلت أنا : حسن .. حسن .. انا في حاجة
الى عطة وسأحصل اذن على صيد جيد .. !

وبعد ثلاثة اشهر كنا في طريقنا الى زنجبار ..

“

(٥) عاصفة في البحر

حصلنا على مركب عربى عبارة عن سفينة
شراعية كما تبدو فى الصورة ، ووراءها قارب كنا قد
جلبناه معنا من انجلترا . . وكان لهذا القارب حافظات
هوائية مبنية فيه ومن شأنها أن تجعله طافيا حتى اذا
امتلا بالماء . وكان هناك أيضا صناديق للغذاء
والمؤن .

كنا نبحر جنوبا بحذاء الساحل الشرقى
لافريقيا ، وكانت الأرض تمتد الى يدينا اليمنى .
وملأت الشراع ربح رقيقة . وكلن البحر لطيفا تخرج
منه موسيقى هادئة حانية . وفوقنا كان القمر وكان
الليل صافيا يسمع فيه أدنى صوت ..

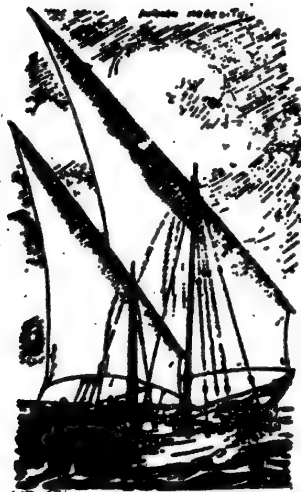
وكان يقود السفينة عربى اسمه « محمود » .
وفجأة رفع يده وقال : اسمعوا . !

وجاءنا صوت بطيء عميق فوق المياه ..

قال محمود : هذا اسد !

قلت : غدا حوالى العاشرة مساء سنكون قادرين
على رؤية هذا التل الذى يشبه رأس انسان ..
هكذا يقول لى القبطان .

قال « ليو » : لقد كنت أجرب عربيتى معه ..
لقد كان يشتغل بالتجارة فى هذا الجزء من افريقيا
طول حياته . سألته ان كان يعرف شيئا عن المدينة
المخربة والكهوف ..



السفينة ..

وسالت أنا : وهل يعرف ؟

- كلا .. انه يقول ان البلاد فيما وراء خط
الساحل منخفضة رطبة غير صحية ومليئة
بالتعابين .. !

- ما هذه السحب ؟ !

قالها « ليو » موجها الحديث الى محمود فشير
الى كتلة سوداء على طرف السماء ..

- هذه ؟ .. انها عاصفة .. عاصفة صغيرة
ستمر بجانب السفينة !

وعند ذاك جاء « جوب » وقد لونت الشمس
بشرته وبدا انجليزيا جدا ، وقال :

- سيدى لقد وضعت كل البنادق والمخزونات
في السفينة عند المؤخرة بحيث تكون جاهزة للرحلة
اعلى النهر .. والقبطان يقول اننا سنكون هناك في
وقت مبكر من صباح غد .. الا اننى يا سيدى لا اثق
في هؤلاء الرجال ولذلك فانى سأتام ليلتى في القارب ..
اذا وافقت يا سيدى على ذلك .

ووافقت .. وكان الوقت يتقدم .. وبذلك فأننى
أنا و « ليو » رقدنا لننام .

وكان الشيء التالى الذى عرفته هو سماع
صوت رهيب تحدثه الريح القوية .. ثم صرخة فزع
من الرجال .. وقفزت من مكانى وامسكت بحبل .
وكانت السماء سوداء فوقنا ولكن كان القمر لا يزال
يضيء أمامنا . ورأيت بفسوئه موجة كبيرة ارتفاعها
يبلغ نحو عشرين قدما . واستطعت أن أرى المياه
البيضاء على تاجها ، وجاءت مندفعة الى الأمام ثم
غرق كل شيء فى غوضاء الماء .

ومرت الموجة .. وبعد ذلك رأيت شراع السفينة
يطير بعيدا كأنه سحابة تدفعها ريح وسمعت صوت
« جوب » يصبح قاتلا :

— هنا يا سيدى .. تعال هنا فى السفينة .

وكانت السفينة مليئة بالماء . ورأيت محمود
يقفز الى سطحها وقفزت أنا الآخر وجلدبنى محمود

من ذراعى الى الداخل وقطع الحبل بمطوانه عندما
بدات تتحرك ..

وصرخت انا فجأة : أين « ليو » .. ؟ ! ..
« ليو » ! .. « ليو » .. ؟

قال « جوب » : لقد ضاع يا سيدى . !! ..
انظر .. ها هى ذى موجة أخرى تهجم علينا ..

كان القمر الآن يكاد يختفى . الا اننى رايت فى
ضوئه الخافت الموجة القادمة .. وفيها شيء داكن
اللون . كانت فوقنا . وكانت السفينة تكاد تمتلئ
بالمياه . ولكن حافظاتها الهوائية كانت تمسك بها وتجعلها
عائمة على سطح المياه . وبدأ الشيء الداكن يأتى نحونا
مباشرة . ومددت ذراعى لأحمد نفسى منه ، الا أن
يدى أطبقت على يد أخرى .. وامسكنى اليد !! وانا
طبعاً رجل قوى .. وكانت السفينة تسند جانبي
الا انى شعرت بأن ذراعى يكاد ينخلع منى خلعاً !!
ولو دام اندفاع الماء أطول من هذا فلا بد أن اترك
نفسى تذهب ضائعة ولكن الموجة مرت .. !



ولاح آخر أضواء القمر قبل أن يغطيه الظلام
تماما فاضاء لنا وجه الرجل الذى تعلق بى .. لقد
كان « ليو » ! « ليو » يحىء الى ثانية ، حيا او ميتا .
بهذه الموجة الثانية .. !!

كان كل من « جوب » و « محمود » يشتغلان
بحماية يريحان الماء من قاع المركب . وانضمت اليهما
سريعا . واخذ لثلاثنا يعملون لاتقاذ حياتهم وكلفت
العاصفة تجتاحنا من جميع التواحي . ثم سمعا
صوت الريح العميق وارتفعت فوق صوت الريح والمطر
أصوات الموجات ترتطم على الصخور ..

وصعد القمر ثانية ثم بدا على بعد نصف ميل
امامنا خط ابيض من الماء المقطع المتقاطع ، وراءه خط
ابيض ثان وازداد الصوت وضوحا وقوة .

صحت قائلا : اذهب وخذ قيادة المركب
يا « محمود » .. يجب ان نخرج من هذه العاصفة !

جلست انا و « جوب » مستعدين لتجديف
ودفعتنا الريح والمياه الى الامام .

وكان هناك مكان واحد حيث بدا الخيط الأبيض
أرفع ، فاشرت إليه :

— قدنا الى هنا يا « محمود » !

رايته يجلب بكل قوته لادارة القارب في هذا
الاتجاه .. وجذفت أنا و « جوب » بكل قوتنا . وكنا
الآن في وسطها وانقلب الماء المكسور عاليا فوق
رءوسنا وجاءتنا موجة من ورائنا . رفعتنا والفتنا في
مياه أكثر هدوءا ..

وأصبح القارب مليئا الآن بالماء . وعلى بعد
نصف ميل أمامنا كان الخط الأبيض الثانى ولكن
العاصفة كانت الآن أكثر هدوءا ..

نظرت الى « ليو » كانت عيناه مفتوحتين ولكننا
كنا الآن مدفوعين نحو الخط الثانى من الصخور ..
وجاءت صرخة « محمود » .. وصلاة استنجاد من
« جوب » .. ودفعتنا المياه امامها وخلفها وسط
موجاتها المتكسرة ..

وكانت العاصفة قد انتهت الآن تقريبا ..
وأصبحت السماء صافية .. وأخذ ضوء القمر
الأبيض يسطع فوق البر والبحر .. ونظرت الى
أعلى .. الى الصخرة الكبيرة المائلة امامنا في
البحر .. وأضاء القمر من ورائنا بحيث وقفت
الصخرة سوداء مقابل السماء ..

وكانت الصخرة على شكل راس رجل
الفرقى .. ؟!



الصخرة المنحوتة على شكل رجل افريقي

(٦) بعض الصديق في القصة

طلع ضوء النهار اخيرا...

وجلست هناك في القارب استمع الى همس
المياه الرقيق . وكلما نظرت الى التل المائل في البحر،
رايت الصخرة الغريبة الشكل ، يحيط اطرافها
وهج الشروق .. لم يكن هناك شك في شأنها !!!

كانت هناك أنف الرأس ، وكانت هناك العيون ، وكان
هناك الفم .. الشكل الكامل للرأس !!

الا اننى لم اكن ابدا مستطيعا ان اكشف ما اذا
كان شكلها هذا من صنع يد انسانية ، ام انها كانت
حادثة من حوادث الطبيعة ، ولكنها كانت قائمة هناك
امام البحر تماما كما رأتها « آمينارتاس » الاميرة
المصرية منذ الفى عام .

سالت : حسن .. ما رأيك فى هذا
يا « جوب » .. ؟

ورأها « جوب » للمرة الأولى فقال : يا لله !!

واقبضت « ليو » الذى بادر وسألنى :

— ولكن اين القارب ؟ ماذا حدث ؟

— فقدنا القارب وفقدنا كل من كان عليه من
رجال ما عدانا نحن الأربعة .

ونظرت الى « ليو » وقلت :

— وانت نجوت بأعجوبة !!

ونظر « ليو » امامه وقال صلوخا :

— ماذا !! .. هذا هو الرأس الاثري !! والآن
فالامر كله حقيقى !!

فاجبته :

— لا اوافق على هذا . علما بأن هذه الرأس قد
كانت هنا .. والدك رآها ! .. ولكنها قد لا تكون
كتلك الرأس التى تتحدث عنها الكتابة .. حتى اذا
كانت هى نفس الرأس فان هذا لا يثبت شيئا ..
لا يثبت ان بقية القصة كلها حقيقية .

فقال « ليو » :

— انت شخص غير قابل للاقناع او التصديق !

— نعم .. انا فعلا غير مقتنع .. وانت الآن
استلاحظ ان قاربنا محمول الى شط رملى فى مصب
النهر .. ويجب ان نجذف وان نحلول ان نجد
مكانا يمكننا منه ان نصل الى الأرض .

وكان هناك حوالى مسافة ميل وذراع طويلة من
الأرض الرملية أعلى من الأرض الباقية وذات جوانب
محورة . وسريعا ما وصلنا اليها ونزلنا الى البر ..
ثم غسلنا أنفسنا ونشرنا ملابسنا وتركناها تجف ..
ثم أحضر « جوب » شيئا من الطعام لافطارنا .

وبعد الافطار نظرنا لنتأمل ما حولنا فوجدنا
مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالى خمسمائة ياردة
بينما لا يزيد عرضها من مائة ، تعلو عن سطح الأرض
المنخفضة وراءها حوالى خمسة وعشرين قدما .

قال « ليو » : هذا مكان بناه الناس بأيديهم ..
كما جاءت هنا سفن كبيرة ..

قلت : لا تكن أحمق .. ! .. من ذا الذى يبنى
مكانا مثل هذا فى أرض واطئة وفى بلد لا تعيش فيه
الاشعوب متوحشة .. هذا اذا كانوا يعيشون فيه
على الإطلاق ربما لم تكن دائما هكذا ، وربما كانت
هذه الأرض المنخفضة جافة فى قديم الزمان .

قال « ليو » : انظر هناك !

مشيرا الى شجرة اقتلعتها العاصفة وانتزعت
جذورها المقلوبة من الأرض تاركة وراءها حفرة كبيرة .

— اليس هذا عملا حجرياً في قاع الحفرة ؟

تسلقت هابطا الحفرة .. وهناك في قاعها كانت
احجار كبيرة مبنية الى جوار بعضها البعض .. وكانت
وجوه الاحجار مسطحة بدقة وعناية واستطفت ان
ارى فوقها العلامات التى تبين اين قطعت . وحفرت
في التربة بيدي ووجدت خاتما معدنيا كبيرا جدا ..
كان عرضه حوالى قدم كامل بينما يبلغ سمكه نحو
ثلاث بوصات ..

— يبدو ان سفنا كبيرة جدا قد جاءت هنا ..

قال « ليو » هذا وهو يرقبني .. ولم أستطع
انا ان اجيب . ربما كانت هذه الأرض جافة في يوم
ما .. وربما قامت هنا مدينة عظيمة قديمة !

قال « ليو » : يبدو ان هناك بعض الحق في
القصة .. الا يبدو لك ذلك واضحا ! ؟

نظرت حولى فوق الأرض المنخفضة ، وامتدت
هذه الى أبعد مما ترى العين .. كانت الشمس
تسكب الآن مزيدا من الحرارة . وانتشر حولها
قناع خفيف من البخار ..

قلت : هناك ثلاثة اشياء تبدو واضحة لى ..
انه من الواضح اننا لا نستطيع ان نعبها (واشرت
الى الأرض الواقعة خلفنا) .. وثانيا فانه من الواضح
اننا لا نستطيع ان نبقي هنا لأننا اذا بقينا فسنموت
مصابين بالمalaria .. وهكذا فانه من الواضح لى ،
ثالثا ، انه ينبغي علينا اما أن نخرج الى البحر فى
القارب وأن نصن الى مكان بحذاء الساحل أو أن
نصعد النهر ونرى أين وصلنا ..

قال « ليو » : لست أدري ماذا ستفعلون ولكننى
سأذهب الى النهر !

قال « جوب » : فليعيننا الله !

وقال « محمود » : نفس الشيء باللغة العربية !

(٧) صعودا مع النهر

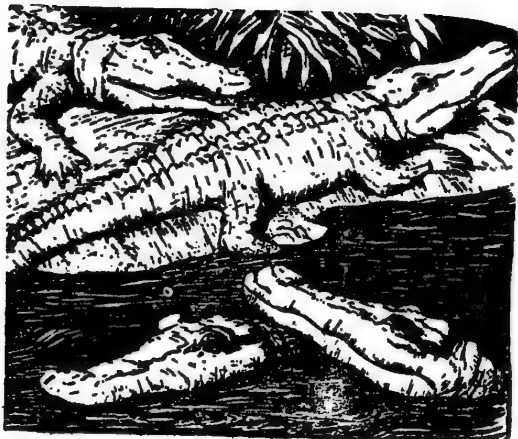
كانت الريح تهب نحو الأرض من البحر ..
ورفعنا الشراع وسرنا ساعات بجذاء الشاطئ وبسرعة
طيبة .. ورأينا عددا من التماسيح راقدة فوق
الشاطئ أو تطل عيونها فوق الماء ..

وفي منتصف النهار هبطت الريح وأصبح الجو

شديد الحرارة ، وذهبنا نستظل ببعض الأشجار
ورقدنا حتى غربت الشمس ثم جذفنا أماننا حتى
وصلنا الى بعض من الماء المكشوف في بحيرة صغيرة ،
حيث نوبنا أن نبقى الليل .. وعند الغروب جاءت
بعض الطييان المائية تشرب من النهر .. ولم تكن
نعلم كم طالت رحلتنا او حتى متى سيبقى لدينا من
طعام وبذلك اخذ « ليو » بندقيته ورايته واقفا
بيندقيته في مواجهة السماء . وفي المقدمة لمحت ظبي
الماء مطاطنا رأسه يشرب .. ! وفي الغرب كانت كرة
الشمس الغاربة الحمراء والسماء ممثلة بأسراب
البط البري عائدة الى اوطانها خلال الضوء الذهبي ،
وكل شيء فيما حولنا عبارة عن مياه هادئة وحشائش
طويلة .. وكنا ثلاثة من الانجليز في قلب انجليزى ..
وبلونا غرباء عن المكان .. ! وانطلقت الرصاصة !!
وقفز القلبى قفزة عظيمة !! ..

لقد أخطأ « ليو » مرماه . ثم انطلقت رصاصة
ثانية !! .. وكانت هذه طلقتى أنا ..

قال « ليو » : طلقة رائعة ! وكانت طلقتى خاتمة !



التماسيح ..

وخرجنا من المركب وأخذنا من اللحم قدر ما استطعنا حمله ثم جلدنا حوالى ستين ياردة من الشاطئ وتناولنا وجبة ثم حاولنا أن ننام ولكن النوم كان مستحيلا .. انقضت علينا ملايين الحشرات هبطت علينا كأنها سحبات وانهاالت علينا لسعا من خلال الملابس .. وغطينا وجوهنا ولكنها استمرت تلسعنا من خلال الأغشية !

ومضت الساعات فى هدوء ثم سمعت صوت اسد يمزق الصمت العميق ثم صوت اسد آخر ..

قال « ليو » : انا سعيد لاننا لسنا على الأرض !

وبعد وقت طويل طلع القمر وسمعت « جوب »

يهمس :

— أوه .. يا للحظ ! .. انظر هناك ! ..

كان هناك اسدان جلدتهما نحونا رائحة اللحم الطازج فجاءا يسبحان نحونا وعلى بعد خمسة عشر قدما كان يقع الشاطئ الرملى ، وكان عمق الماء فوقه يتجاوز بوصات فقط . جاء الاسد الاول الى



الغبي ..

الشاطئ الرملى ووقف واطلق عليه « ليو » النار
وسقط الأسد فى الماء ميتا ! .. وكان الأسد الثانى
وراءه مباشرة وفجأة نشب صراع عنيف .. انجلب
الأسد الثانى الى الوراء غائضا فى الماء .

وصرخ « محمود قائلا » : انظر ! لقد قبض
تمساح على رجله !

ومضى الصراع ناشبا بينهما وبدا الأسد فجأة
كأنه يجلب التمساح الى البر ليسقط من جديد ..
واخيرا سقط رأس الأسد الى الامام ورايناه
ينجلب فى الماء وكان الصمت تاما اللهم الا طنين
الملايين من اصوات الحشرات .

وفى خامس ايام رحلتنا ذهبنا حوالى مائة واربعين
ميلا غربا من الساحل . وفى صباح ذلك اليوم
انخفضت سرعة الريح العادية حوالى الساعة الحادية
عشرة . وبعد التجذيف مسافة قليلة نجثنا الى مكان
انقسم فيه النهر الى فرعين وخرجنا من القارب
وسرنا على اقدامنا بحذاء الشاطئ الشرقى للنهر لنرى



كم عمق الماء هناك .. وبعد أن سرنا حوالى خمسين
يلدة رأينا أنه سيكون من المستحيل أن نضع القارب
فيه .. أصبح الماء أقل فأقل حتى هبط عمقه الى
مجرد بوصات قليلة وعلى ذلك عدنا راجمين بحذاء
الشاطئ الآخر ، الشاطئ الغربى ..

كان من الواضح أن هذا النهر ليس طبيعيا ولكنه
ممر مائى من صنع الإنسان . كان شاطئاه عاليين حيث
رفعت الأرض من مكانها اثناء الحفر ومضى الشاطئان
في خط واحد مستقيم نحو غاية معروفة . وبدا الماء
فيه كأنه لا يتحرك البتة وكان النبات فيه شديد
الكثافة ..

قال « ليو » : اظن أن هذا النهر المائى قد حفر
لجلب السفن الى مدينة داخلية قديمة ..

قلت : يجب أن نذهب الى هناك أو أن نعود
الى البحر اذ لا يمكننا أن نبقى هنا حيث نحن فتاكلنا
الحشرات !

انتظرونا حتى انخفضت الشمس ولم تكن هناك
ريح وظللنا نجذب في الساعة الأولى ، فكان عملا عظيم
المشقة . ثم أصبحت النباتات شديدة الكثافة حتى
اضطر اثنان منا أن يخرجوا فيدفعا القارب بينما بقي
الثالث يتولى زمامه وجلس الرابع في المقدمة ودفع
بالنباتات بعيدا وهي تتكوم امام مقدمة القارب ..

لن اصف الأيام الأربعة التالية من رحلتنا .
كانت أشقى الأيام في حياتي وكانت إياما لا تنتهى من
العمل والحرارة والحشرات ..

وفي اليوم الثالث رأينا ، على مبعده ، تلا
مستديرا لا يكاد يظهر لشدة بعده .. وفي الليلة
الرابعة بدا هذا التل أنه على بعد ثلاثين ميلا منا ..

كنا الآن قد انتهينا وكانت أيدينا قد تشبقت
وغطتها الدماء . وشعرنا أننا لا نستطيع أن نجلب
القارب ياردة أخرى وأن أفضل شيء هو أن نرقد ونموت
هناك في هذه الغياقي المائية .. وعندما القيت بنفسى

في القارب لعنت حماقتي لانضمامي هكذا الى رحلة
مجنونة بهذا الشكل يمكن ان تنتهى بموتنا جميعا .
وعندما نمت حلمت بالقارب وبما سيكون عليه شكله
في ثلاثة اشهر من الآن : نصفه ممتلىء بمياه كريهة
الرائحة ترقد فيه جثث متأكلة لأربعتنا .. وبدوت
انى ارى جثة محمود هناك امامى بعينيها المفتحتين
تنظران الى دوما كما لو كنت وحدى الذى يلام .. !

استيقظت اهتز من الخوف على اثر هذا الحلم
الفظيع . وعندئذ رايت شيئا لم يكن حلما . عينان
كبيرتان كانتا تنظران نحوى من خلال الظلام . وقفت
وصرخت ثانية وثانية بحيث قفز الآخرون واقفين
وجلسوا هناك يهتزون من الخوف الشديد وما زالوا
نصف نائمين .

رايت ضوء القمر يضيء رأس حربة مصوبة الى
قلبي !

قال الرجل بالعربية : من انتم ايها الرجال

الذين جاءوا سابحين في الماء .. تكلموا .. تكلموا
والا كنتم من الموتى ؟ !

ولكنها كانت لغة عربية من نوع خاص لم اكد
افهمها ..

قلت بافضل ما لدى من عربية : نحن رحالة !
جئنا هنا بالمصادفة !

ادار الرجل راسه ، وسال رجلا طويلا جدا
واقفا خلفه : يا ابي .. هل تقتلهم .. ؟ !

(٨) شعب الأحجار

سأل حامل الرمح : يا أبى .. هل تقتلهم ؟

- من هم ؟

- ثلاثة رجال بيض وواحد أسمر البشرة !

قال الرجل طويل القامة : لا تقتل .. منذ أربعة أيام كلمتني تلك التى ينبغى أن تطاع وقالت اذا جاء

رجال بيض فلا تقتلوهم .. هاتوهم الى هذا المنزل
واجلبوا كل الأشياء التى معهم !

قال الرجل حامل الرمح : تعالوا .. تعالوا !

وسحبونا من القارب . وعلى الشاطئ كانت
هناك جماعة من حوالى خمسين رجلا .. وكلهم
يحملون حرا با طويلة وكانوا طوالا جدا وكانوا اقوياء .
وكان جلدهم فاتح اللون ولم يكن على ابدانهم ملابس ،
مجرد جلد اسد فى الوسط ..

قال الرجل الطويل القامة : احضروا المقاعد !

وجاء الرجال جارين نحونا بالمقاعد . وكان كل
مقعد يحمله أربعة رجال وكان هناك رجلان اثنان
آخران حتى يتم تناوب العمل ..

**قال « ليو » : حسنا .. من الأفضل ان يجد
المرء اناسا ليحملونا بعد أن حملنا أنفسنا هذه المسافة
الطويلة ..**

بدأ « ليو » وكأنه يأخذ دائما الجانب الحسن
من الأمور .

وما أن جلسنا في المقاعد حتى بدأ الحمالون ..
وارتفعت عقائرهم بالغناء عندما بدأت أقدامهم المشي
وسريعا ما دفعتني الحركة والغناء الى النوم .

وعندما استيقظت كانت الشمس عالية في
السماء . وكنا ما نزال نرحل بسرعة حوالى اربعة
اميال في الساعة .. كنا قد خرجنا من الأراضي
المنخفضة . وكنا نتحرك فوق واد يتجه الى تل
بعيد !

نظرت الى الرجال الذين كانوا يحملوننا . كانوا
رجالا حسنى المظهر ذوى جمال على نحو ما ولكن
وجوههم كانت مليئة بالشر . لم يبتسموا أبدا . ولم
يضحكوا أبدا . وأحيانا كانوا ينشدون بعض الأغنيات
ولكنهم يظلون صامتين عندما لا يغنون . ولأمر ما
ملأنى منظرهم خوفا .

كنت لا ازال اتساءل من اين اتوا ؟ .. عندما
حمل كرسى الى جانب يدي اليمنى وفيه جلس رجل
عجوز يرتدى ثوبا اصفر اللون يكاد يشبه ذلك الذى
وجدته فى الصندوق الحديدى . قررت انه لابد ان
يكون هو الرجل الذى نادوه بالآب . كان رجلا رائع
المنظر بدقن بيضاء وعينين وامضتين حلیمتين .

قال بصوت خفيض عميق : واذن فانت متيقظ
اخيرا ايها الرجل الغريب !

فاجبته بادب بالعربية : نعم يا أبى . صباح الخير
عليك .

ابتسم وقال : لا ادرى من اين اتيتم ولكنها بلد
تعرف شيئا عن لغتنا وهم يعلمون الآب . ولكن لماذا
جئتم الى هذه البلاد حيث لم يحضر غريب منذ امد
طويل !

اجبت : لقد جئنا لنجد اشياء جديدة . لقد
تعبنا من الاشياء القديمة نحن شعب شجاع لا نخشى

الموت .. اذا استطعنا ان نعلم شيئاً جديداً قبل ان نموت !

قال السيد المعجوز : حسن . قد يكون هذا حقاً . انى اتوقع ان « تلك التى ينبغى ان تطاع » ستكون قادرة على تحقيق رغبتكم .

سألت : من هى تلك - التى - ينبغى - ان تطاع ؟ !

فضحك ضحكة غير سارة على الاطلاق ،
وقال :

- سريعا ما تعرفون هذا . اذا رغبت « هى » ان تراكم بينما تزالون احياء .

سأله : ما اسم شعبكم ؟ !

- نحن شعب المتحجرين .. شعب الصخور .. !

- هل لى أن أسالك عن اسمك ؟ !

– اسمى بلال .

– واين نحن ذاهبون ؟ !

– سنرى !

واخبر رجاله أن يحملوه اماما الى حيث كان
« جوب » جالسا في كرسيه بقدم مدلاة من ناحية
جانب المقعد ..

(٩) الراحة في الكهف

نمت ثانية ، وعندما كنا نمر بين الحائطين الصخريين استدرنا حول ركن وظهر أمامي منظر جميل . رأيت واديا كبيرا عرضه يبلغ حوالى خمسة أميال . وكانت الجوانب صخرية بأعشاب تنمو عليها . ولكن المركز فيه كان الحشيش الفنى الأخضر مع اشجار رائعة قائمة هنا وهناك ومجار قليلة تسرى

عبرها . وفوق هذا الوادى الفنى رأيت إبقارا كثيرة
وحوانات أخرى . كان هناك رجال يتحركون بين
الحيوانات ولكنى لم أر علامات تدل على مساكن ..
أين يعيش هؤلاء الناس ؟ !

دنا نحو اليسار وذهبنا بحذاء جانب الوادى
لمسافة نصف ميل ثم وقفنا .. نزل الرجل العجوز
« بلال » من كرسيه وفعلت مثله وعند ذلك رأيت
« محمود » المسكين نائما على الأرض لم يعط كرسيًا
ولكنه أجبر على الجرى حول الطريق كنا توقفنا على
أرض مستوية أمام فوهة الكهف . وضعت كل الأشياء
التي جلبت وحول المكان وقف الرجال الذين حملونا
ورجال آخرون من نفس الطراز . وكان هناك أيضا
بعض النساء . ولم يكن يرتدين جلود الأسود مثل
الرجال ولكن جلود الظباء وارتدى بعضهم قماشا
أصفر مثل ذلك الذى وجدناه فى الصندوق .. ذلك
اللون الأصفر كان علامة المركز . اكتشفت هذا
فيما بعد ..

عندما نزل « ليو » من كرسيه أبدى الناس

اهتمامهم الكبير وخاصة عندما خلع قبعتيه وراوا
شعره الأصفر .

وبين الجمهور كانت هناك امرأة ذات تقاطيع
بالغة الروعة . . وكانت مرتدية ثوبا اخضر . . كان
جلدها ذهبيا فاتحا وشعرها بنيا . نظرت الى « ليو »
بحرص من رأسه الى قدمه وبعد ان قامت بهذه
الدراسة الحريصة الدقيقة تقدمت الى الامام ووضعت
ذراعاها حول رقبة « ليو » وقبلت يده .

توقعت ان يندفع الرجال على « ليو » ويطعنونه
بالحراب .

قال « جوب » : يا لها من امرأة لا تخجل !

بدأ « ليو » مندهشا بعض الشيء وظن أنها
عادة « غريبة » من عادات البلاد فرد التحية بمثلها .

ومرة ثانية توقعت حدوث شيء . بدت بعض
النساء الصغيرات الشابات على شيء من الغضب ،
وابتسمت بعض النساء الكبريات . وبعد ذلك علمت

وفهمت معنى ذلك بين أفراد شعب المتحجرين النساء والرجال على السواء فالنساء والرجال هنا سواسية والنساء تختار أزواجهن بتحيثهم على هذا النحو وإذا رد الرجال بهذه الطريقة فان هذا معناه أنهم يوافقون .

اسم هذه المرأة الشابة هو « أوستين » وهكذا فان « أوستين » قد اختارت « ليو » زوجها لها وكما بدا لها ان « ليو » قد وافق .

رايت امرأة لم تكن شابة بعد تحركت نحو « جوب » . وكان « جوب » يبدو خائفا ولكن « بلال » تقدم حينئذ وقادنا الى الكهف . وكان الكهف يبدو طوله نحو مائة قدم وخمسين قدما عرضا . . تمر منه معرات عديدة . وكان واضحا انه لم يكن كهفا طبيعيا ولكنه بنى بيد انسان .

كانت تشتعل في وسطه نار كبيرة تلقى اشباحا عريضة على الجدران والسقف . وقادنا « بلال » الى النار وجعلنا نجلس على جلود هناك جاهزة لنا .

وجلبت فتيات صغيرات الطعام لنا - لخبنا وقمحا
ولبنا . وكنا في شدة الجوع وبعد الوجبة وقف
« بلال » وتكلم :

- هذا شيء جميل هذا الذي حدث . لم يات
ابدا غريب ابيض البشرة الى هذه البلاد قبل الآن .
وفي بعض الأحيان جاء افراد قليلون آخرون الى هنا .
ولكنهم جميعا قتلوا . لقد راوكم تجذبون قلوبكم على
طول الطريق العتيق وامرت ان يتم قتلكم ولكن رسالة
جاءت منها « هي » !

فسالت : هي ؟ !

الاسم الكامل هو : « هي » - التي يجب ان
تطاع « ولكن اسمها الصغير : « هي » يجب ان اذهب
الان لأعرف المزيد من اوامرها !

وسالت : وكم من الوقت ستبقى بعيدا ؟ !

- سأعود في اليوم الخامس !

- واذن فهي تعيش على مسافة تزيد قليلا على
يومين من هنا .. ولكن كيف عرفت بوجودنا هنا ؟

ابتسم « بلال » ونظر حوله ليرى ان ليس هناك
احد من الآخرين قربنا ثم قال بهدوء : اليس من احد
في بلادكم يستطيع ان يرى بدون عيون ويسمع
بلا اذان ؟ لا تلق على اسئلة .. انها تعرف !

ومضى قائلا : سأعود في اليوم الخامس .
وسيفعلون كل شيء من أجل راحتكم بينما انا غائب .
وأمل ان تفكر بعطف في شأنكم وسأحدث انا مداخعا
عنكم لأنتى احبكم . ولكنى لا اعطيكم الا قليلا من الأمل
كل اجنبى جاء هنا الى هذه البلاد اثناء حياتى وإثناء
حياة أبى وجدى وجد جدى قد قتل . قتلوا جميعا
على نحو كرهه بغيض لن اصفه وهى التى كانت دائما
تعطى الأمر بقتلهم .. او تأذن بذلك .

قلت : لست افهم .. انت رجل كبير مسن ..
كيف تستطيع هى ان تعطى الأمر بان يقتل رجل
واحد ، فى وقت جد جدك ؟

وابتسم « بلال » من جديد ثانية .. ومضى بعيدا
دون ان يتفوه بأية اجابة .

(١٠) الأيام الأربعة الأولى

عينوا لنا رجلا دميم الخلقة في الأربعين من عمره
وليا على امرنا وانباته اننا نريد أن نستحم وقادنا
الى مجرى مائى . وعندما عدنا كانت الشمس قد
غربت وكان الكهف مليئا بالناس يجلسون حول النار
ويأكلون وجبتهم المسائية .

كانوا يأكلون في صمت مهيب .. جلسنا واخذنا
نراقبهم بعض الوقت ولكنه لم يكن منظرا مبهجا
ولهذا قلت لحارسنا الجديد :

- نحب ان نذهب لفراشنا .

ودون ان ينطق كلمة اخذ مصباحا وقادنى الى
واحد من الممرات الصغيرة الخارجة من الكهف . وبعد
ان ذهبنا حوالى خمس ياردات انفتح الممر الى داخل
غرفة صغيرة . وفي ناحية من الحجرة كان رف حجرى
طوله ستة اقدام وعرضه قدمان او ثلاثة . وارانى
ان على ان انام هنا . ولم تكن هناك نافذة او ثغرة
ولا منضدة ولا كرسي ولا شيء ! وبدا لى المكان كأنه
يستخدم لراحة الموتى اكثر منه للأحياء .. ثم اكتشفت
بعد ذلك اننى كنت على صواب . ولكن كان على ان
انام فى مكان ما . وعلى ذلك عدت الى الكهف لأجد
الحقبة التى تضم أشياءى . هناك قابلت « جوب »
الذى اقتيد الى غرفة أخرى من نفس النوع ، ولكنه
قال لى :

— انه قبر يا سيدى .. مجرد قبر لجثة رجل
ميت . لا أستطيع ان انام هنا وحدى . هل أستطيع
ان آتى معك .. لمجرد الصحبة يا سيدى ؟

وفى الصباح سمعنا صوت الطبل .. فقمنا ..
وذهبنا الى الجدول واغتسلنا . وبعد ذلك جلبوا لنا
الطعام .. وعندما جلسنا الى الافطار جاءت احدى
النساء الى « جوب » وحاولت ان تقبله .. وكان
« جوب » شديد الغضب فصرخ فى وجهها :

— اذهبي ! اذهبي ! صدقنى يا سيدى لم ارها
قبل الآن على الاطلاق .. اوه !! يا الله انها آتية نحوى
من جديد . امسكها بعيدا يا مستر « هولى »
واستدار هاربا !

رايت بعضا من شعب الأحجار يضحكون ..
ولكن النساء وقفن هناك وكن ينتفضن غضبا ، ووددت
لو كان « جوب » اقل حرصا من ذلك على اسمه
الطيب .. واكثر حرصا على مشاعر السيدة !

خشيت ان يضعنا هذا في موضع الخطر . والواقع
ان ذلك قد حدث بالفعل !

قلت للرجال : ان الرجل متزوج .. وزوجته
امراة شرسة . انها تجعل حياته بائسة .. هذا هو
السبب في انه يخشى النساء جميعا .. !

استمعوا الى في صمت وكان واضحا ان طريقة
« جوب » في استقبال السيدة قد مست كرامتهم ،
وكانوا غاضبين لهذا ..

وبعد الافطار راقبنا الناس يعملون في الحقول ..
جاءت معنا صديقة « ليو » واسمها « اوستين »
وجلسنا الى جوار المجرى وسالت « اوستين » عن
شعبها فأجابت :

— لا ادرى ولكن هناك خرائب كثيرة لمدينة قديمة
قرب المكان الذي تعيش فيه « هي » .. المدينة
نفسها كان اسمها « كور » . لا احد يجرو ان يقترب

من تلك الخرائب ، ان ارواح رجال موتى تعيش فيها .
وهناك خرائب اخرى في اجزاء اخرى من البلاد
حيثما كانت الارض مرتفعة .. هناك ايضا كهوف
منحوتة في الصخر نحتها رجال عاشوا في المدن .

سالت : هل لديكم اى قانون ؟

— هناك عادات شعبنا ، كما ان هؤلاء الذين
يرتكبون خطأ يقتلون !

— كيف ؟

ابتسمت وقالت : قد ترى هذا في يوم قريب !
— هل لديكم اى حاكم ؟

قالت : نعم . هي ملكتنا .. ولكننا قليلا جدا
ما نراها . مرة واحدة فقط كل سنتين او كل ثلاث
عندما تأمر بموت بعض الناس !

— كيف يبدو شكلها ؟

— لست أدري ، انها دائما مغطاة بحيث
لا يستطيع أحد أن يرى وجهها . يقال انها جميلة
جدا ، وانها تعيش الى الأبد وأن لها قوة على كل
الاشياء .

وهكذا مرت أربعة ايام قبل أن تبدأ الاشياء في
الحدوث . سرنا على اقدامنا وساءلت « أوستين »
والآخرين ، وبدانا نحصل على صورة لهذا الشعب
الذي لم يزره رجل غريب منذ مئات السنين . وبدأ
أن هذا البلد مقطوع تماما عن العالم الخارجى .
لا يستطيع أحد أن يعبر هذه الاراضى الواطئة الا اذا
عرف الطريق وكل هؤلاء الذين حاولوا قتلهم الملايا
أو قتلهم الجوع أو الغرق .

كان « ليو » يشعر بمزيد من السعادة اذ برى
جزءا من القصة يثبت أنه واقعى . ومن الواضح
أن « جوب » لم يعرف كيف يفكر . كان يستطيع فقط
أن يتساءل ويتعجب فقط .

وبدا أن « محمود » العربي كان جد خائفا .
كان شعب الأحجار مؤدبين حياله ولكنهم كانوا شديدي
البرودة . ولم أستطع أن أعرف ماذا أخافه .

قال : ان هؤلاء الناس شياطين !

وكان هذا هو جوابه الوحيد ..

وفي ليلة اليوم الرابع حدث شيء ..

(١١) معركة في الكهف

كانت هي الليلة الرابعة . وكنا ثلاثتنا
و «أوستين» جالسين حول النار ، ثم بدأت
«أوستين» تغنى بصوت خفيض . لم استطع أن
التقط كل الكلمات . بدا أنها نوع من أغاني الحب .
ثم سمعت شيئا كالخوف في صوتها :

« هي التي أقوى قد أخذته .. هي التي أجمل
منى .. وانت استدرت وناديتني في الظلام ولكن » ..
وتوقف صوتها . كانت عيناها ثابتتين على شيء
في الظلام !

أشارت اليه ولكننا لم نر شيئا .

سال « ليو » : ما الأمر يا « أوستين »

— انه لا شيء . لماذا اخفيك ! اني فقط اسالك
أن تفكر في شأني عندما أكون قد ذهبت ..

وفي صباح اليوم التالي جاء حارسنا واخبرني
أن حفلا سيقام تكريما لنا . وعندما سمعت
« أوستين » هذا رأيت على وجهها نظرات رعب .
امسكت بذراعه وكلمته ولكنه 'جابهها بجفاف وكان
واضحا انها لم تكن سعيدة بذلك . حاولت أن اعتذر
فقلت : نحن اناس هادئون ولا نحب الحفلات !

ولكنها استقبلت كلامي في صمت ..

أخبروني قبيل الغروب أن كل شيء جاهز .
كانت هناك نار كبيرة في الكهف .. وكان هناك خمسة
وثلاثون رجلا وامرأتان يجلسون حولها .. كانت
المرأتان هما « أوستين » والمرأة التي جاءت الى
« جوب » . وبين الرجال كان « محمود » ..

قال « جوب » : انظر .. هذه امرأتى تتحدث
الى « محمود » .. أنا سعيد لأنها لا تتحدث معى
انا !

نهضت المرأة وكانت تقود « محمود » خارجة من
الركن حيث كان جالسا وكان « محمود » في حالة
خوف هائل .

قلت : لا يروق لى هذا المنظر هل معك
مسدسك يا « جوب » ؟

كان « جوب » معه مسدسه ولكن معى مسدسى
ايضا . ولكن « ليو » كان معه سكين فقط .
جلس الرجال هناك في صمت تام يمررون اثناء

من الشراب القوى فيما بينهم .. ولم تكن هناك
أية إشارة الى الطعام .. ولكن كان هناك وعاء
حديدي كبير في النار وقضبان طويلان لرفعه .

وبعد وقت بداوا يفتنون . غنى القائد :

أين اللحم الذي سناكله ؟

اجاب الآخرون : الطعام سيأتى !

غنى القائد : كيف سيأتى اللحم ؟

غنى الآخرون : سنقتله !

هل اللحم مستعد للطهى ؟

هل القدر ساخن لطهى الطعام ؟

انه ساخن ! انه ساخن !

قال « ليو » : انى أقول يا « هولى » .. تذكر
الكتابة في الصندوق .. انها قالت : الرجال الذين
يضعون القدور على رموس الأجانب ..

واذ قال هذا قفز رجلان وانتزعا القدر من

فوق النار .. وفي نفس اللحظة اخذت المرأة التي كانت جالسة بجوار « محمود » حبلا من تحت ثوبها ووضعتة فوق كتفه . كان الرجلان يحملان القدر الى المكان الذي كان يصارع فيه « محمود » وكانا يقصدان ان يضعوا القدر المحمر من السخونة على راسه ! .. لقد اعدت المرأة هذا كانتقام مما فعل « جوب » .

قفزت انا واطلقت النار على هذه المرأة الشريرة التي كانت ممسكة بالقدر بين ذراعيها وسقطت بينما يقفز « محمود » عاليا في الهواء ، ثم سقط ميتا الى جوارها . لقد مرقت طلقتي ، التي اطلقتها من مكان قريب بهذا الشكل ، خلال الجثتين !

امسك رجل جالس قربنا بحريته ..

صرخت : اجر .. !

وكان هناك شرذمة من الرجال في مدخل الكهف .. وعلى ذلك جريت داخلا الكهف . واذا قفرت فوق جثة « محمود » احسست بحرارة القدر عند

قدمى . وفى نهاية الكهف كان يوجد رف يرتفع ثلاثة
أقدام وعمقه ثمانية أقدام . ووصلنا اليه جميعنا
وقفزنا فوقه على استعداد لنحارب حتى النهاية .

وتوقفت الزمرة لحظة عندما رأونا نواجههم .
ونظرنا نحن الى صفهم الطويل من الأشباح التى تنتهى
فى النار وكنا نستطيع أن نرى القدر المحمرة من
السخونة وهى تلتصع فى ذلك المكان شبه المظلم .

كان « ليو » ممسكا بمطواته فى يده اليمنى
وقال :

— وداعا يا « هوالى » .. لا فرصة لنا بازاء كل
هؤلاء الناس الذين سيقضون علينا فى دقائق ويأكلوننا
بعد ذلك .. اغفرلى انى اتيت بك الى هنا .. وداعا
يا « جوب » .. !

رفع « جوب » مسدسة واطلقه ثم وقع
الاندفاع ..

قفز رجل ضخم الى الرف الصخرى وغرس
« ليو » سكينه فيه وعندما فرغ مسدسى استخدمت

المطواة ولا أدري ماذا حدث « لجوب » .. اظن انه رقد ساكنا وتظاهر بالموت . ضربت رجلا بعنف شديد بسكينى ولما سقط جذبت السكين منه . وقفز على رجلان . وضعت يدا حول كل منهما وسقطنا جميعا على ارض الكهف معا ، بعضنا فوق بعض . كانوا رجالا اقوياء ولكنى كنت كالمجنون فى غضبى وكنت اشعر بعظامهما تتحطم وانا اصرهما وشعرت بهما يتوقفان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

أدرت راسى ورأيت ان « ليو » قد غادر الرف الصخرى ايضا . كان فى وسط جمع يتصارع . ورأيت وجهه الجميل وتاجه من الشعر الذهبى ، غالبا فوق رءوسهم .. كان يحارب بقوة ترودعك رؤيتها . ثم فقد كمينه وظننت النهاية آتية .. ولكنه هرب وامسك بجثة الرجل الذى طعنه توا ، ورفعها عاليا فى الهواء وقذفها نحو الطغمة فهوت بخمسة أو ستة منهم الى الأرض .. ولكنهم ، فى دقيقة واحدة ، وقفوا ثانية فيما عدا واحدا . عادوا اليه ثانية ، كلهم وفى صمت !! وسقط تحت وزنهم كأنه

شجرة هاوية . أمسكوا بذراعيه ورجليه ..

صاح صوت : هاتوا رمحا !! رمحا لاقتله وقذرا
لأمسك بدمائه !!

وأغلقت عيني وسمعت صوت الصراع . وعندما
نظرت من جديد كانت المرأة « أوستين » قد ألقت
بنفسها فوق « ليو » تحميه بجسمها حاولوا ان
يجذبوها بعيدا ولكنها وضعت ذراعيها حول عنقه
ورجليها حول رجليه وأمسكت به .

صاح صوت : اظمن الرجل بالحربة هو والمرأة
وهكذا سيجمع بينهما الموت !

ورأيت رجلا ومعه حربة يستعمل قامته ويرفع
ذراعه ورأيت وميض النار فوق الحربة ..

وأغلقت عيني .. واذا فعلت هذا سمعت
صوتا يصرخ قائلا : قف !

وهبط الظلام على عقلى ولم أعرف شيئا بعد
هذا ..

(١٢) بعد المعركة

عندما فتحت عيني ثانية كنت راقدا على الجلد
غير بعيد من النار . وقريبا منى رقد « ليو » وكانت
عيناه لا تزالان مقفولتين وجلست « اوستين » بجواره
تفصل جرحا بجانبه .

وكان « جوب » واقفا خلفه يرتمش ولكن دون

اذى اصابه . وفي الجانب الآخر من النار كانت جثث
هؤلاء الذين قتلناهم في عراكتنا الفظيع من اجل
الحياة . عددتهم فكانوا اثني عشر بخلاف المرأة وجثة
« محمود » المسكين . . والى اليسار كان عدد من
الرجال يحرسون جثث هؤلاء الذين هاجمونا والذين
بقوا احياء ، وعلى مقربة منهم كان « بلال » يشرف
على عمل تثبيت اذرع السجناء من خلفهم . رآني
جالسا فجاء نحوي وقال :

— ارجو ان تكون افضل الان !

— اشكرك ايها الأب لاتقاذك ارواحنا ! فقد كلن
هؤلاء الأوغاد الشياطين يستطيعون أن يقتلونا كما
قتلوا خادمنا . .

— سننتقم لخادمكم وسيذهبون اليها « هي »
وسيتمنون أن لم تلدهم أمهاتهم قل لى ماذا حدث ؟ . .
فأنبأته بكل شيء .

قال : يجب أن تفهم أن هناك عادة أن اى

أجئني يأتى الى هذا البلد سيقتل بالقدر .. انا
شخصيا اعتقد أنها عادة سيئة شريرة وهى - التى -
ينبغى - أن تطاع قد بعثت أوامر بأنك لن تقتل .
هؤلاء السجناء سيتمنون لو أنهم هم أيضا قد قتلوا
فى القتال .

ومضى فقال : ولكن هل تعلم أيها « السعدان »
الطويل الذراع أنك انت قد حطمت عظام هذين
الرجلين الاثنين كما يحطم رجل قشر بيضة .
وأما الشاب ، هذا الأسد فقد كان من الجميل أن يراه
المرء وهو يقف وحده ضد هذه الكثرة .. أنت وهو
قد جعلتمانى صديقكما بهذه المعركة الباسلة !

ثم سألنى عن مبدساتنا ، كيف قتلت رجالا
على مبعدة . ولكنى كنت متعبا الى حد بعيد ..

فتح « ليو » عينيه وحمله « جوب » بمساعدة
« اوستين » الى السرير .. وذهبت أنا الى الغرفة
الصغيرة . وعندما جاء الصباح لم اشعر بانى بصحة

جيدة تسمح لى بالاستيقاظ . وعندما جاء « بلال »
تظاهرت بانى مستغرق فى النوم . ووقف ناظرا الى .

وسمعه يقول لنفسه : انى احب هذا
« السعدان » وارجو ألا تفعل « هى » شيئا من السحر
عليه .

وفتحت عيني . وقلت : صباح الخير ايها الأب !
- لقد جئت فقط لأرى كيف صحتك . لقد
أمرتنى « هى » ان آتى بك مباشرة ولكنى لا اظن انك
يمكنك أن تتحرك .

قلت : ليس بعد ولكنى أتوسل اليك أن تجعلهم
ينقلونى الى مكان فيه اشعة الشمس .. انا لا احب
هذا المكان على الإطلاق !

قال : نعم نعم .. انه مكان مقبض محزين
وعندما كنت صبيا وجدت فيه جثة امرأة جميلة راقدة
حيث ترقد أنت .. واعتدت ان أجىء وأن أنظر اليها

هنا .. وبدأت كأنها ما تزال حية ولو انها كانت باردة
فقط . كان جلدها أبيض وشعرها أصفر طويلا يكاد
يصل الى قدميها . وقعت في حبهـا تقريبا .. ثم
اكتشفت أـمـى ذات يوم أين اذهب ، فاوقفت المرأة
الميتة الى الحائط وأخذت مصباحا واشعلت النار في
شعرها واشتعلت الجثة كلها وذابت كأنها من
الشمع .. ! ان هؤلاء المحفوظين من التداعى يحترقون
دائما بهذه الطريقة .. انظر ! .. هناك على السقف
يمكن أن ترى آثار الحريق .. !

نظرت الى أعلى .. وكانت هناك علامة سوداء
عرضها ثلاثة أقدام ..

قال : عندما عدت كان كل شيء قد احترق
ما عدا القدمين . أخفيت قدما منهما تحت الرف
الصخري . ربما كانت ما تزال هناك !

ووضع يده تحت الرف الصخري حيث كنت
أرقد ..

- هـاك !

قالها ووضع شيئاً في يدي . وكان ذلك قدما !
ربما أخف وزنا مما لو . كانت حية ولكنها محفوظة
جيذا من حيث الشكل واللون ! .. ترى .. كم دبت
هذه القدم على الأرض عندما كانت صاحبها حية ..
يا للقدم البائسة الحظ !

(١٣) الرحلة الى كور

واحضروا لنا خمسة مقاعد ثقالة . وكان هناك
حرس من خمسين رجلا ليذهبوا معنا ..

سالت « بلال » : هل ستأتى « أوستين »
معنا ؟

قال : اذا ارادت .. انها ، بحكم قوانيننا

زوجته . انها فتاة شجاعة وهى تحب الأسد ،
وانقلدت حياته . ومن حقها أن تذهب حيث يذهب
هو الا .. اذا قالت (هى) لا !!؟

ونزلنا الى جانب التل ، ثم صعدنا الناحية
الأخرى ، حيث كانت هناك أرض مديدة من الحشائش
الخضراء تهبط بوداعة الى حيث رأيت المزيد من
الأراضي الواطئة .. وعبرناها ، ثم جئنا الى طرف
الأراضي المشبعة بالماء وهناك استرحنا قليلا ثم
مضينا . كانت أسوا من الأرض التي عبرناها في
قاربنا وكانت رائحة العفن حولنا في كل مكان وتحرك
فيها ثعابين مائية سوداء بسرعة كبيرة . وكانت
الاصوات الوحيدة هى اصوات الضفادع العالية
وهى اكبر ضفادع رأيتها في حياتى وفوقنا مرخات
الطيور الهائلة فى السماء ..

وصلنا عند الغروب الى قطعة الأرض الصلبة ،
وكانت عبارة عن جزيرة صغيرة تقف وحيدة فى الأرض
المهجورة . وهناك انفقنا الليل واقفين أو راكدين

حول التيران .. ولكن ظلت اصوات الضفادع مدة
طويلة هي وعضات الحشرات . واصبح النوم
مستحيلا .

نظرت الى « ليو » الذى كان راقدا الى جوارى .
وكانت عيناه تلمعان ووجهه احمر وشفته جافتين ..
كان مصابا بأزمة مالاريا حادة . وكان جد مريض .
وجلست « أوستين » قلقة الى جانبه ..

واخيرا نمت قليلا واستيقظت بينما كانت
الشمس تصعد الى كبد السماء . كان « ليو » جالسا
ممسكا برأسه بين يديه ..

سألته : كيف تشعر الآن ؟

اجاب بضعف :

— انا جد مريض .. اشعر كأننى ساموت !

وكان « جوب » مريضا هو الآخر .. ولكن ليس
مثل « ليو » ..

سالت « بلال » : هل يستطيعان أن يذهبا ؟

فاجلب : يجب أن يذهبا ان بقاءهما هنا معناه
الموت .. !

وصلنا أخيرا الى جزء خطير جدا .. فقد كان
الرجال أمامنا غائصين حتى ركبهم في الماء . وسار
أمامنا مرشدان بعضى طويلة يجربان الأرض وهما
يسيران .. ثم سمعت صرخة مفاجئة ثم كثيرا من
الصياح ..

كان أحد رجال « بلال » قد وضع قدمه على
ثعبان . وسقط الكرسي على الأرض وسقط « بلال »
في الماء وعندما تمكنت من الذهاب الى طرف الماء
لم يكن من الممكن رؤية الرجل أو « بلال » .. ولم
يمكننا رؤية الرجل حامل الكرسي مرة ثانية واستطعت
أن اخمن أين « بلال » لأنى استطعت أن أرى المقعد
هناك في الماء وقطعة القماش التى وضعت فوقه
لحمايته من الشمس ولكن « بلال » نفسه لم تمكن
رؤيته ..

وصرخ واحد من الرجال: انه هناك .. هناك !

ولكنه لم يفعل شيئا لمعاونته ..

صرخت انا : افسحوا الطريق !

وقفزت الى الماء . واخيرا وصلت الى المكان
الذى كان « بلال » يناضل فيه تحت قطعة القماش
وخلصته منها ثم جلبته الى الأرض ..

وقف هناك والماء القدر يسيل من فوق
رأسه ..

**وقال : يا للكلاب ! انتم تركتموني هنا ، انا
ابوكم ، لكى اغرق . ساتذكر هذا ! اما انت يابنى ايها
« السعدون » فانا صديقك الى الأبد .. لقد انقذت
حياتي .. ربما ياتى يوم سأنقذ فيه حياتك !!**

(١٤) مسكن .. « هي »

وقبل الغروب جئنا من الأرض المنخفضة الى واد
يرتفع الى أعلى في شكل موجات . ووقفنا الليلة تحت
بضعة اشجار . وطول الليل كنت مشغولا بمساعدة
« أوستين » على رعاية « ليو » الذي كانت حالته
سيئة جدا .. وفي صباح اليوم التالي كانت حالته
قد ازدادت سوءا ..

وسريعا بعد شروق الشمس صعدنا الى قمة
التل المشوشب.. وراينا اسفلنا بلدا غنيا بالحشائش
والاشجار والازهار . وعلى بعد مسافة كان هناك
جبل مشكل تشكيلا غريبا جدا . كان على قدر
ما تمكنت من الرؤية ، مستديرا تماما تقريبا ،
وتقاس دائرته بحوالى سبعة اميال ، وصعدت جوانبه
مستقيمة من الوادى كأنها جدران ، وقمة هذه
الجبال تكاد تضيع فى سحب الصباح المبكر . واذ
جلست فى مقعدى ارقب « بلال » الذى قال :
هذا هو منزلها هى - التى - يجب أن تطاع !

قلت : انه رائع .. ولكن اعتقد أن تسلق
هذه الصخور أمر صعب للغاية !

- انظر الى هذا الممر تحتنا ..

نظرت ورايت ما بدا أنه نهر او نهر جاف أو ربما
كان ممرا مائيا من صنع الانسان .

وشرح « بلال » : فى وسط حلقة دائرة الصخور
كانت ذات مرة بحيرة وكان مركز البحيرة أعلى من

هذا الوادى . والناس الذين بنوا مدينة « كور »
شقوا ثقباً فى قاع الجبل بحيث تدفقت المياه من
البحيرة وصنعوا هذه الأراضى المنخفضة الخطيرة التى
جئنا عليها . وعندما تدفق الماء كله من البحيرة تركوا
معراً يستطيع الرجال أن ينفذوا فيه الى دائرة
الصخور وبنوا المدينة على جزء من مرقد البحيرة وكان
الباقى حقولاً لحيواناتهم وأراضى بستانية ..

وأخيراً وصلنا الى وجه الحائط الصخرى وجئنا
الى فم الفتحة المظلمة فيه .. وكان جزء من هذه
الفتحة يملأه نهر صغير ما لبث أن أدير عن معرنا
الجاف ليتدفق من معرنا المائى الى طريق آخر ،
بعد أن تركنا الصخرة . وبخلاف بجانب هذا النهر
فى الممر المظلم رايت طريقاً أعلى من النهر ..

انزلت مقاعدنا وجاء « بلال » واخبرنى انه يجب
تغطية عيوننا حتى لا نعلم أسرار المدخل .. فعلوا بنا
هذا ثم بدأنا من جديد .. كان شعوراً غريباً هذا
الذى أحسنا به اذ حملنا داخل قلب الصخرة .

لا نعلم أين نحن ذاهبون . جلست وأنا استمع الى
وقع خطوات اقدام الرجال واندفاع المياه . وسريعا
ما بدأ الرجال يغنون وبدت اصواتهم غريبة وحزينة
وهي ترن بين السقف الصخري والجدران من حولنا .
وظللنا نستدير الى هذا الطريق وذلك حتى لا نستطيع
ان احتفظ بخريطة في ذهني عن الطريق الذي سرنا
فيه ..^١

وبعد نصف ساعة شعرت اننا خرجنا الى
الهواء الطلق وبدأ الضوء ملتصقا من خلال القماش
المربوط فوق عيني . ثم سمعت « بلال » يعطى
الأوامر برفع الأغشية عن عيوننا ..

ورأيت اننا كنا الآن داخل جدران الصخر ..

ولم تكن هذه الجدران من الارتفاع كما كانت في
الخارج ذلك لأن مرقد البحيرة كان اعلى من المركز .
ونحو مركز الوادي ظننت اني ارى خرائب واطلالا
بينما كان بقيتها مقسما الى حقول وحدائق . ولم

يكن لدى وقت لأرى المزيد من المكان لأن جمهرة من
سحب الأحجار قد جاءوا والتفوا حولنا .. وبدوا
متشابهين مثل الناس الذين رأيناهم من قبل في
الكهف ..

ثم جاءت نحونا جماعة من الرجال المسلحين
يقودهم ضابط يجرون نحونا . وبدوا أنهم آتون من
وجه الصخرة مثل طوابير النمل الآتية من تلالها .
وكان هؤلاء هم جماعتها من الحراس .. وذهب قائد
الحرس نحو « بلال » وحياه . ثم دارت الجماعة
كلها وسارت على طول جانب الصخرة العالية وتبعهم
حاملونا .

وبعد ان سرنا حوالى نصف ميل توقفنا عند
مدخل كهف كبير حوالى ستين قدما في الارتفاع
وثمانين قدما عرضا .. وهنا امرنا « بلال » ان
ننزل .. ولكن « ليو » طبعنا حمل الى الداخل . وكان
الجزء الداخلى من الكهف تضيئه المصابيح . وكانت
جدرانها مزيّنة بالصور . وغالبا ما تكون صور الصيد

أو الرقص وقلة من صور الممارك . ومن هذه الصور الأخيرة فهمت أن قليلا من الجيوش قد جاءت الى هذه النواحي . تحارب في هذه البلاد ان كانت قد جاءت على الاطلاق . وكانت هناك كتابات بين الصخور ولكن الحروف فيها كانت مجهولة لدى ..

وقابلنا خادم يرتدى الزى الأبيض وانحنى أمامنا ولكنه لم يقل شيئا . وهذا لأنه ، كما علمت بعد ذلك، لم يكن يتكلم أو يسمع ..

وكان هناك ممران يخرجان من الكهف الكبير . واحد منهما في كل ناحية . في الفتحة التي في الجانب الأيسر كان حراس .. واعتقد أن هذا الممر يؤدي الى المكان الذي تعيش فيه (هي) .. وأبدى الخادم انه يجب علينا أن نمر في الممر الأيمن .. وجئنا الى ستار ، ومن ورائه وجدنا غرفة يتسلل اليها الضوء خلال فتحة محفورة في وجه الصخرة . وترك « ليو » وبقيت معه « أوستين » .. ولو أن الخادم نظر اليها نظرة غريبة وقادنا الى غرفة أخرى حيث بقي

« جوب » .. ثم الى غرفتين اخريين ولحده يحتلها
« بلال » والثانية لى ..

كانت هناك قدور ماء فى جميع تلك الغرف ،
وبذلك اخذت أنا و « جوب » حماما . وكنا سعداء
ان ننظف انفسنا ثانية .. واذا انتهينا جاءت فتاة
شابة وادت اشارات لترينا ان الطعام كان جاهزا لنا
فى الغرفة التالية التى لم ندخلها بعد .. ويبدو أن
الفتاة لم تكن قادرة على الكلام ..

وفى كل جانب من جوانب تلك الغرفة ، كانت
هناك مناضد صخرية غريبة وفوق كل منضدة ممر
هوائى . وفى احدى المناضد كانت هناك امكنة حفرت
على هيئة رجال .. مكان تستريح فيه الرأس ، وآخر
للأجزاء السفلى من البدن وموضع للجزء الأسفل
من البدن .. وكانت هناك صور حول الجدران ..
وكانت هى الأخرى صورا غريبة غريبة جدا .. !!

بينت الصورة الأولى موت انسان فى منزله ..

والثانية للرجل موضوعا على المائدة الحجرية، التي
وصفتها ، وكان ثلاثة رجال يقفون جانبا يصبون
السائل في فتحة أجريت فوق قلب الرجل ، وقد
غطيت أنوف هؤلاء الرجال وافواههم لكأنما تحميهم
من البخار ورائحة السائل .. وفي الصورة الثالثة
نرى الرجل يوضع في القبر وعند الراس والقدم
مصابيح موقدة ..

كان واضحا لى أن هذه الغرفة كانت هي الغرفة
التي عولج فيها الموتى ليحتفظ بهم بتلك الطريقة
السحرية التي عرضها « بلال » فعلا .

ويمكنك أن تفهم كم كنت جوعان بعد رحلتنا ..
و « جوب » أيضا قد تأمل في تلك الصور !!

(١٥) « هي » تريد رؤيتك !

بعد تناول الوجبة جلست انا و « جوب » مع
« ليو » لمدة ساعة .. ثم جاء « بلال » وقال بلهجة
بالفة الجدة :

- ان هذا شرف اتيح لقلّة من الناس ..
« هي » قالت انها ترغب في رؤيتك !

واظن انه قد دهش للطريقة الباردة التى اخذت
بها هذه الأخبار . ونهضت لأتبعه واذا فعلت هذا
رايت شيئا يلتمع على الأرض والتقطته . كان هو
الخاتم الذى كان فى الصندوق الحديدى .. الخاتم
مع العلامات « ابن الشمس » المنقوشة عليه واعتقد
انه سقط من اصبع « ليو » اثناء مرضه وعلى ذلك
وضعتة فى اصبعى لكى ابقيه آمنا .

وجئنا للممر الثانى وذهبت امام الحراس ..
ثم قابلنا اربعة خدم وكانوا رجلين وامرأتين .. وانحنوا
امامنا دون كلام . وذهب الرجلان الحارسان أولا ثم
تبعتهما المرأتان .. ومررنا امام ابواب عديدة عليها
ستائر فكرت انها لابد أن تكون غرف الخدم . ثم
جئنا الى ممر له باب وحارسان يقفان امامه . ومن
خلال هذا الباب نفدنا الى غرفة كبيرة فيها ثمانى
أو عشرة نساء ، معظمهن شابات جالسات يقمن بشغل
الابرة .. لم يقلن كلمة ، لم تكن واحدة منهن
تنطق أو تتكلم أو تسمع !

وفى نهاية الغرفة كان هناك ممر وبابه عليه ستائر

غليظة .. وفي مواجهته وقفت فتاتان برأسيهما
منحنين وذراعاهما على صدريهما ، واذ اقتربنا مدت
كل منهما ذراعها وشدت الستائر وقتحتها .

ثم قام « بلال » بعمل غريب حقا !! .. نزل
على يديه وركبتيه ومضى امامنا على هذا النحو ..

وقال ناظرا الى اسفل : الى اسفل
يا « سعدون » .. على يدك وركبتك .. نحن
ذاهبون الى حضرة « هي » .. ولكنى لم ارد أن افعل
هذا ، وشعرت بالخوف ولكنى مضيت اسير ببطء
وراء « بلال » وشعرت بحماقتى بسبب المجيء الى
هذه الغرفة وكدت اشعر بالرغبة فى الضحك .

وتان فى نهاية الغرفة ممر ولبب عليه ستائر
رفيعة لمع من ورائه ضوء ولم يكن احد فى الغرفة
الا نحن ..

واخيرا وصلنا الى الستار وهناك تمدد « بلال »
على الأرض .

شعرت أن هناك واحدا ينظر إلينا من الناحية
الأخرى من الستار ، وبدأت أشعر بالخوف .. لست
أدري لماذا ؟

كان المكان ساكنا الى هذا الحد . وكانت ثمة
رائحة غريبة .. رائحة ثقيلة .. رائحة أزهار .
وشعرت بالمزيد من الوحدة ..

ومرت الدقائق ثم فتحت الستائر .. !

(١٦) وحيدا مع الملكة

قال صوت بالعزية القديمة :

- إيها الغريب لماذا أنت خائف ؟ !

وكان هذا أجمل صوت سمعته في حياتي ..
مثل همس جدول صغير .. أو صوت مطر يسقط على
المياه الساكنة .. مثل صوت طير هادئ يغرد عند

شروق الشمس .. مثل أحب موسيقى تسمعها
اذنك .. !

ثم ظهرت يد بيضاء خلال الستائر وجذبتهما
وفتحتهما ..

كان وجهه الملكة مغطى بقناع حريري أبيض ..
وكان جسمها مغطى .. كما تغطي جثة بشابها
الوقورة .. وحتى مع هذا استطعت أن أعرف أن
الشبح المثلث أمامي كان شبح امرأة شابة جميلة عندما
حركت يدا أو قدما ، كانت هناك تلك الرشاقة
والرقية ..

قالت مرة ثانية :

— لماذا أنت خائف أيها الغريب ؟ !

ورفعت إحدى ذراعيها ودرت شعرها الذي
انهال على ثوبها الثلجي الى قدميها تقريبا ..

اجبتها : انه جمالك الذي يشعرني بالخوف
يا مليكتي !

وسمعت « بلال » يهمس هناك على الأرض :
حسن .. حسن يا « سعدان » !

قالت : أرى أن الرجال لم ينسوا كيف يتكلمون
الكلمات الطيبة !

وقالت : والآن قل لى .. كيف جئت الى
هنا ! .. ماذا تريد أن تراه بمجيئتك الى
هنا ؟ .. لماذا لا تفكرون كثيرا بأنفسكم حتى وضعتم
أنفسكم تحت رحمتها .. تحت رحمة « هى - التى -
يجب أن تطاع » ؟ .. وكيف استطعتم أن تعرفوا لفتى
بهذه الجودة ؟ .. انها لفة قديمة .. أهى لفة
حية فى العالم الى الآن ؟ !

ثم نظرت الى « بلال » : آه .. أنت هناك ..
قل لى لماذا هوجم هؤلاء الرجال وتعرضوا للقتل
بالقدور ؟ .. ما معنى هذا ؟

وقال دون أن يرفع راسه : قادت هؤلاء الرجال
امراة كانت غاضبة من « جوب » .. ولكن هذا

الرجل ، « السعدان » والآخر ، « الأسد » قنلا المرأة
وحاربها حربا جريئة حتى جئت وانتقدتهم .. وكل
الأشرار الذين اشتركوا في الهجوم عليهم قد جلبوا هنا
الى « كور » لكي تنزلى عليهم حكمك !

— اعرف ذلك . غدا سأحاكمهم .. لما انت
فانى اغفر لك ولكن كن اكثر حذرا !

ونهض « بلال » على ركبته وانحنى مرتين ثم
استدار وخرج من الغرفة بنفس الطريقة التي دخل
بها ..

واصبحت وحدي مع الملكة المخيفة !

(١٧) عائشة ترفع الحجاب

قالت : ان الرجل ذا اللحية البيضاء .. ذلك
المعجوز الأحق قد ذهب .. وانا تعبت من انحنائهم
لى وخوفهم منى .. واشعر فى بعض الأحيان انى
استطيع ان انزل عليهم بما لدى من سحر .. فقط
لكى ارى وجوه الآخرين تتحول الى بيضاء من
الخوف .. !

وفتحت الستار جانباً حتى أستطع أن ادخل
الغرفة التالية ..

ووراء الستار كانت هناك غرفة يبلغ اتساعها
حوالى اثني عشر قدماً .. على جانب منها كان مقعد
ومائدة محملة بالفواكه .. وجرة ماء .. وتضيء
المكان مصابيح خافتة الأضواء .

قالت : اجلس .. لا سبب لديك يدفعك الى
الخوف منى .. واذا كان لديك سبب فلن تخافنى
زمناً طويلاً لأنى سأقتلك ! الآن قل لى .. كيف
استطعت أن تتكلم لغتى ؟

قلت : لقد درستها .. ولا زالت هى لغة الكلام
فى مصر !

— أه .. الا زالت هناك مصر ؟ ! الازال يحكمها
الفرس ؟

— كلا .. خرج الفرس من مصر منذ اكثر من
الفى عام .

— أما نزال اورشليم باقية ؟ لقد ظلوا يتخذون
عن معلم عظيم وزعيم كبير سوف ياتى .. اتراه
قد جاء ؟

— السيد المسيح جاء .. ولا نزال تعاليمه قائمة
فى العالم .

— آه لقد كان هذا بعد زمنى .. كنت فى
اورشليم ذات مرة .. وألقوا على أحجارا لانزال
آثارها على نواعى انظر !

وسحبت الفطاء وبينت لى علامة حمراء صغيرة
على يياض جلدها ..

امتلات فزعاً وخوفاً وعجباً وقلت :

— ولكن ايها الملكة لقد مر نحو الفين من السنين
منذ ان ظهر السيد المسيح فى اورشليم .. كيف
تستطيع امرأة ان تعيش الفى عام ؟ !

ونظرت الى ويدا ان عينيها تفتشنان عن قلبى
وقالت :

ـ ايها الرجل الأحقق ... الا تزال تعتقد أن كل شيء يموت ؟ لا يوجد هناك شيء اسمه الموت .. انه فقط تغير .. ستة آلاف عام مضت على الناس الذين رسموا هذه الصور على الجدران .. الكل ماتوا بسبب مرض خطير .. الا انهم ليسوا امواتا .. ربما انجذبت ارواحهم نحونا في هذه الدقيقة !

ونظرت حولها وقالت :

ـ في بعض الأحيان يبدو لي ان عيني يمكن أن تراهم .. ولكنهم موتى بالنسبة الى العالم .. انهم موتى الى وقت ما .. ولكنهم يولدون من جديد .. انا عائشة .. هذا اسمي !! .. انا عائشة انتظر واحدا احببته ان يولد من جديد . مات منذ ألفى عام . لماذا تتوقع اننى وانا التى بهذا الجمال وبهذه القوة اميش هنا مع شعب متوحش .. ؟ !

قلت : لا اعرف .

اجابت : ذلك لأننى انتظر هذا الذى احبه

لأننى أعرف أنه عندما يولد من جديد سيأتى الى هنا .. !

قلت : اذا كنا نحن الرجال نولد من جديد
لملذا لا يكون هذا حقيقيا بالنسبة لك ؟ انك تقولين
انك لم تموتى ابدا !

- هذا حقيقى .. لأنى عرفت سر الحياة ..
والموت .. وأسارارا أخرى كثيرة أيضا .. أمتعجب
انت كيف عرفت انكم قادمون الى هذه البلاد وهكذا
انقذتكم من شعب الأحجار .. ؟ انظر الى هذه المياه !

وقفت ونظرت فى مياه الدورق ووجدت الماء
يسود ثم يتضح ثم رأيت قاربنا فى الماء . وكان
« ليو » راقدا فيه ، نائما ورأسه مغطاة لابعاد
الحشرات . وانا و « جوب » و « محمود » نجر
القارب ..

وصرخت انا قائلا : ما هذا ؟ أهو سحر ؟

اجابت : كلا انه ليس سحرا .. انما استطيع

أن أستلمى صوراً من الماضي .. ولكنى لا أستطيع
أن أرى ماذا سيحدث غداً .. رأيت تلك الصورة فى
الدورق وعلى ذلك فقد أرسلت وأنقذتكم .. قل
لى .. كيف حال هذا الشاب الذى كان نائماً فى
القارب ؟ أنا أحب أن التقى به .. ولكنهم أخبرونى
أنه مريض ومجروح .

قلت : انه جد مريض .. الا تستطيعين أن
تفعلى شيئاً من أجله ؟ !

— دعه ينام .. يوماً آخر . من الأفضل أن
يقاوم المرض بمحض قوته .. ولكن اذا لم يستطع
فسوف اذهب اليه .. من الذى يعنى به الآن ؟

— خادمتنا « جوب » .. وهناك امرأة من شعبك
اسمها « أوستين » يا ملىكى .. !

— شعبى ؟ هؤلاء العبيد ليسوا شعبى ..
ولا تنادنى باسم الملكة .. لقد تعبت من هذا الاسم
نادنى باسم « عائشة » . هذا الاسم يجعنى افكر فى

الماضى ! .. اما عن « أوستين » .. فلقد أخبرونى
ذات مرة عن خطر عظيم يأتينى عن طريق امرأة ..
وانى اتساءل ...

ثم توقفت وقالت : « سارى » ..

ونظرت فى الماء وقالت : انظر .. ثم قالت
بسرعة .. هل هذه هى المرأة ؟

ونظرت فى الماء ورأيت وجه « أوستين » وهى
تنظر برفق الى شخص اسفلها ..

قلت : نعم .. انها تراقب « ليو » وهو نائم !

قالت : « ليو » ؟ الأسد .. ان الأمر غريب ..
ولكن هذا مستحيل ..

ومررت يدها وتلاشت الصورة .. ثم قالت :
« الديك شىء ترغب أن تسألنى عنه يا « هولى »
قبل ان تذهب . ان شعب الأحجار شعب متوحش ..
انهم لا يعلمون شيئاً .. وخدمى لا يستطيعون أن
يسمعوا او يتكلموا .. هل هناك شىء ؟

أجبت : نعم يا « عائشة » .. أريد أن انظر الى
وجهك !

ضحكت وقالت هناك قصة اغريقية عن رجل
مات لأنه انكشف على قدر هائل من الجمال ..
لو أريتك وجهي ربما أصابك اذى !

أجبت : أنا لست خائفا من الجمال ! .. لقد
تخيت عن مثل كل هذه الأمور .. فان الجمال كله
يزول كما تدوى الأزهار ..

ورفعت ذراعها وجلبت يبطه نقابها .. رياه
كيف يمكن أن يكون هناك مثل هذا الجمال ؟ !!
لا أستطيع أن اصفه .. وكيف يمكن أن يكون مثل
هذا الجمال شريرا ؟ !

وظللت وقتا لا أستطيع أن أبعد عيني بعيدا
عنها .. ثم وضعت يدي أمام وجهي .. وعندما فعلت
هذا رأيت ، من خلال أصابعي ، تغيرا كبيرا يطرا عليها
كانت عيناها مثبتتين على شيء بنظرة فزع ..

وههست : يا رجل .. من اين جئت بهذا
الخاتم ، تكلم والا قتلتك بسحري ! لقد اخفك ..
اغفر لي .. ولكن الخاتم من اين جئت به ؟ !

قلت : التقطته!

قالت : هذا امر غريب ، غريب جدا . رأيت
حجرا مثل هذا مرة مع كالكريتنس .. كان يلبسه
دائما .. وكان يقيمه تقييما عظيما جدا .. اذهب ! ..
اذهب .. !!

(١٨) لعنة عائشة

لم استطع أن أنام بعد ليلة كهذه . رقدت
على فراشي متيقظا . وأخيرا في النهاية فكرت أنه
من غير المجدي أن أنام . وقررت أن أقوم وأنظر كيف
أصبحت صحة « ليو » .. وذهبت في هدوء الى
غرفته ..

كان شديد القلق . والى جانبه جلست
« أوستين » نصف نائمة . كانت ممسكة بيده ..
أما « ليو » المسكين فقد كان وجهه يشتمل حمرة ،
كانت هناك ظلال داكنة تحت عينيه . وكانت أنفاسه
ثقيلة .. كان مريضا .. وهبطت على نفسى مشاعر
فظيمة بأنه ربما كان يحتضر .

عدت الى غرفتى بنفس الهدوء الذى جئت به ..
ولكننى مع ذلك لم استطع أن أنام . وفجأة لاحظت
بابا ضيقا قائما فى الحائط .. اخذت المصباح ورحلت
اتحقق من أمره . انه ليس من المأمون فى بلد غريب
أن يكون هناك ممرات تؤدي الى غرفة نومه من حيث
لا يعرف الانسان .. مررت فى المنفذ وقادنى هذا الى
سلم .. وفى نهاية قاع السلم كان هناك ممر أصفر
منحوتا فى الصخر .. « يجب أن أذهب » .. هكذا
فكرت بعد أن أصبحت وسط هذا الكهف الكبير ..

واذ ذهبت حول زاوية أحد الأركان ، هبت فجأة
رياح اطفأت المصباح .. ووجدت نفسى غارقا فى

الظلام .. ونظرت أمامي في هذا الظلام وبعيدا رأيت
وميضاً ضعيفاً لنار .. وفكرت ربما استطعت أن أوقد
مصباحي هناك ثانية .. وهكذا تحسست خطواتي
خطوة خطوة بقدمي ومحتفظاً بيدي على الحائط ..
ومضيت الى الامام بحذر ..

رأيت ستارا من ورائه تلمع نار .. وكان ضوء
النار شديد البياض ولم يكن هناك دخان .. والى
اليسار كان هناك رف صغير وفوقه كانت جثة انسان
مغطى بقماش ابيض .. وكانت هناك امرأة جالسة
الى جوار النار . كانت في الحقيقة جالسة بالنسبة
الى في مواجهة الرجل .. ثم وقفت . وكانت (هي)
مرتدية ثيابها كلها ذات اللون الأبيض الا أن وجهها
كان متغيرا .. كانت تبدو مليئة بغضب مجنون ..
ومع ذلك رأيت في عينها فرحاً والمأ اكبر كثيراً
مما يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس
قائلة : اللعنة عليها ! .. عليها لعنتى تلك المرأة المصرية

لأن سحرها أنقذها منى لأنها أخذت منى حبيبي ..
اللعة عليها وهي تموت ، واللعة عليها وهي تولد
ثانية ..

قالت هذا مرة ومرة أخرى ثم بدأت تبكي وقد
جلست جوار النار : الفا عام والحب يأكل قلبي ..
انتظرت ألفى عام .. الفا عام والحب يأكل قلبي
والشر الذي فعلته أبدا قبلي أو أمامي .. ان الزمن
لا يجلب الغفران .. آه يا حبيبي لماذا قتلتك ولم
استطع ان أموت ولكن ، وأسفاه ، لا استطيع أن
أموت !!

ثم ذهبت الى المكان حيث كان الرجل الميت راقدا
وصرخت تقول : آه يا كاليكراتيس يجب ان انظر الى
وجهك !

وسحبت الفطاء ثم هوت على ركبتيها الى جانب
الرجل الميت وضغطت شفتيها على الجثة الخالية
من الحياة وبكت ..

ولم استطع انا ان اتحمل اكثر من هذا ..
استدرت بعيدا .. كان ضوء باهت ضعيف ياتى الى
الممر خلال ممر هوائي خفى . ووصلت غرفتى آمنا
وهويت على فراشى .. !!

(١٩) حكم عائشة

عندما فتحت عيني كان « جوب » في الكهف ..
لبست ثيابي وتناولت بعض الافطار ثم ذهبت لرؤية
« ليو » وسالت « أوستين » عن حاله .. ولكنها
هزت رأسها وبدأت تبكي .

وعندما ذهبت الى هناك اتجهت الى الكهف

الرئيسى وكان مليئا الآن بشعب الأحجار .. ومردنا
خلال الزحام حتى وصلنا الى مكان مرتفع فى النهاية ..
وكانت هناك ممرات كثيرة .

قال « بلال » : ان هذه الممرات تؤدي الى كهوف
مليئة بالجثث !

واضاف : الواقع هو ان الجبل كله ملئ
بالموتى .. ولكن هؤلاء الموتى كلهم محفوظون حفظا
تاماً !!

وعلى الجزء المرتفع كان هناك كرسى مصنوع من
الخشب الأسود .. وفجأة دوت صرخة : « هـى !
هـى ! » والقت الناس جميعا بأنفسهم على الأرض
وبقيت انا وحدى واقفا ! .. وجاء صف من الحراس
من ممر الى اليسار .. وكانت تتبعهم عشرون خادمة
ثم عشرون خادما ثم عشرون خادمة يحملن مصابيح
وفى النهاية جاءت عائشة نفسها مقنعة من رأسها الى
قدمها . وجلست على الكرسى ، ثم تكلمت الى باللغة

اليونانية ، واعتقد انها لم تكن تريد الآخرين أن يفهموا شيئا مما يقول ..

— يا « هولى » .. تعال هنا .. واجلس عند قدمي .. وانظر الى كيف احاكم المفسدين .. هل نمت نوما جيدا يا « هولى » ؟ !

قلت : ليس جيدا ..

فقلت :

— انا ايضا نمت نوما رديئا .. لقد مرت بى أحلام كثيرة .. حلمت بواحد أكرهه وواحد أحبه .. فليتقدم الرجال !

وعندما حضر الرجال قالت عائشة لى : هل تعرف هؤلاء الرجال قل لى ماذا حدث !

فقلت بأوجز عبارة ممكنة .. وسمعت قصتى فى صمت تام .. ثم قال « بلال » القصة نفسها من وجهة نظره ..

**قالت « هي » في صوت كبرودة الثلج : ماذا
لديك من قول ؟**

لم يكن هناك من جواب . تم طالب أحد السجناء
بالرحمة . وساد صمت . ثم وقف السجناء هنا
برؤوس منحنية . وظل الناس يلقون بأنظارهم الى
الأرض ناظرين خلال أصابعهم الى الملكة .. ثم
تكلمت :

— سيؤخذ بهم الى ساحة الموت ! .

ورجونها أن تأخذها بهم شفقة ..

**وأجابتنى بالاغريقية : لا يمكن أن يحدث هذا ..
فلو بينت لهم رحمة لأصبحت حياتكم مهددة
بالأخطار .. !**

واستدارت الى الكابتن وقالت : خذهم !!

(٢٠) كهوف الموتى

اقتيد السجناء بعيدا .. وذهب الحراس ..
وخرج الناس من القاعة على ايديهم وركبهم .. وتركونا
وحدنا فيما عدا خادمين . ووقفت لأنصرف فقالت :

— ابق يا « هولى » .. اتحب ان ترى بعضا
من عجائب هذا المكان ؟ انظر الى هذا الكهف ! عشرات

١٤٥

(١٠٢ - مائة وعاشة)

من آلاف الرجال عملوا سنوات ليصنعوها .. إن
أهل مدينة « كور » مثل قدماء المصريين .. يبدو أنهم
كانوا يفكرون في الموتى أكثر من الأحياء !

.. وأشارت الى بعض الكتابة على الجدران ، ورفع
خدمها مصابيحهم وقرأت « هى » لنا ما هو مكتوب :

« فى هذا العام ، أربعة آلاف ومئتان وخمسون
عاما .. منذ بناء مدينة « كور » .. وهذا الكهف
هو مقر راحة أبدى للموتى وقد بنى على يد الملك
تسنو ، ملك كور » ..

وقادتنى الى وسط الكهف حيث كان هناك
حجر مستدير فى الأرض . وكان هناك مربع من الكتابة
على الجدران قربه . وقرأت « هى » :

« أنا جونيو ، كاهن مدينة « كور » أكتب هذا
بعد أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة أعوام منذ بناء هذه
المدينة .. سقطت « كور » .. وهذا هو قبر شعبها .
ومنذ عامين جاءت سحابة على مدينة « كور » ووقع
على الناس مرض غريب .. انقلب لونهم اسود

وماتوا .. ماتوا .. الأغنياء والفقراء ، المسنون
والشبلب .. وكان الموتى أكثر من أن يحتفظ بهم
حسب عادات شعبي .. وهكذا القيت الجثث في حفرة
عميقة تحت الحجر المستدير .. القلة الباقية الذين
بقوا ذهبوا الى الساحل واستقلوا سفينة وأبحروا
متجهين شمالا .. انا جونيو الذى يكتب هذا آخر
رجل ترك حيا فى هذه المدينة العظيمة .

— هل فكرت يا « هوالى » ان شعب « كور »
الذى أبحر شمالا هو الذى انجب المصريين القدماء
الأوائل ؟ تعال وسأريك المكان العميق الذى تحدث
عنه الكتابة .

تبعتهما الى ممر جانبي وهبطنا بضع درجات ثم
سرنا فى ممر يتجه الى أسفل وفجأة انتهى الممر ..
ورفع الخدم مصابيحهم ورأيت منظرا لن اراه مرة
ثانية أو أرغب فيه ..

كنا واقفين على طرف حفرة عميقة فى الصخر ..

وعميقة بحيث ان كنيسة القديس بول في لندن كان
يمكن ان توضع فيها . ولكنى رايت انها ملئت بكومة
كبيرة من العظام ، آلاف الأجداد من العظام الميتة
وبعض العظام بيضاء وبعضها بجلد جاف لا يزال
ملتصقا بها ..

اطلقت صرخة عجب وخوف . وكان لصوتى
صدى يدوى في فضاء هذه الغرفة .. وتدحرجت
راس كانت قد بقيت آلاف السنين ساكنة على قمة
الكومة .. وتدحرجت احجار اخرى كثيرة كانت تسقط
في اثرها كما لو كانت الحياة قد دبّت في المكان كله .

قلت : دعينا نذهب . لقد رايت ما فيه
الكفاية .. !

والثفت الى ممر جانبي يؤدي الى مكان بعيد عن
الطريق الذى جئنا منه ..

قالت : حتى عند حدوث المرض العظيم احتفظ
شعب كور دائما بموتاهم .. وسترى !



كانت مملوءة بكومة كبيرة من العظام ..

ودخلنا غرفة صغيرة مثل هذه التى نمت فيها
عند أول وقوف لنا بالمكان . ولكن كان فيها رفان
حجريان وعلى كل رف منهما يرقد جسد مغطى
بقماش ..

قالت : ارفع الغطاء يا « هولى » ! ..

وعندما تأخرت أنا جذبته « هى » نفسها ..
وهناك رايت امرأة راقدة وكانت فى حوالى الخامسة
والثلاثين من العمر . وكان وجهها بادى الكمال ..
كما فى الحياة .. كما لو كانت نائمة .. وفى ذراعيها
طفل ضغط بوجهه على صدرها . منظره جد جميل
وحزين بحيث أدت وجهى بسرعة !

وعلى الرف الآخر كان زوجها وهو رجل عجوز
وذقته شيباء .. اعتقد أنه قد مات منذ عدة سنين
وجاء أخيراً ليستريح بجانب زوجته وطفله ..

ذهبنا الى عدد من المقابر المائلة ، فى بعض منها

كان « الحفظ » سيئا .. وبلمسة واحدة تسقط
الجثة غبارا .. ولكن معظمها وكان الموتى المحفوظون
فيها في حالة نوم ..

وقالت أخيرا : تعال .. سأريك « تيسنو »
الملك العظيم !

قلت : لقد رأيت ما فيه الكفاية .. خذيني
بعيدا .. !!

(٢١) « عائشة » .. و « ليو »

عندما عدنا الى غرفة « عائشة » استدارت
نحوى وقالت :

— بأتى وسأرى هذا الشاب الذى تسميه
الأسد .. لابد أن يكون المرض قد مار فيه سيرته ،
واذا كان سيموت فأتى سألقه .. اذهب اليه أو سأتى

عندما اكون قد جهزت ما نحن في حاجة اليه .

ووجدت « جوب » و « أوستين » في حالة من
الحزن وقالا :

– « ليو » يموت !! لقد كنا نبحث عنك في كل
مكان ..

رايت انه في خلال ساعة ، او ربما في بضعة دقائق
سيكون من المستحيل معاونته .. وكنت شديد الغضب
لأنى تركته . كلن « جوب » يبكي بصوت مرتفع .
وعندما نظرت اليه خرج ليخفى نفسه وأحزانه . ثم
عاد جاريا وقد وقف شعر راسه من الفزع !

صاح : ألا فليأعدنا الله يا سيدى .. ها هنا
واحد من القبر قادم من الممر : هونا .. !

علمت أنه لابد أنه رأى « عائشة » في ملابسها
القبرية .. جاءت الى الغرفة .. وجرى « جوب »
خائفا مرتاعا الى الزاوية .

قلت : لقد جئت في الوقت المناسب يا عائشة ..
ذلك أن الولد يرقد الآن في لحظات الموت !

قالت : اذا لم يكن ميتا بالفعل فاني أستطيع
أن اردّه الى الحياة .. قل لهذا الرجل وهذه الفتاة
أن يتركانا ..

ذهب « جوب » على الفور ولكن « أوستين
انتظرت وهمست : ماذا تريد « هي » ؟ ..
وكانت « أوستين » مقسمة النفس بين خوفها
من المكة وقلقها على « ليو » .

— اليس من حق المرأة أن تبقى مع رجلها ؟

قالت عائشة : اذهبي !!

وعندئذ هوت « أوستين » على يديها وركبتها
وخرجت من الغرفة ..

ذهبت عائشة الى السرير الذي رقد عليه « ليو »
وجذبت الغطاء لتبظر الى وجهه . سمعت صرخة

ملوية ورايتها تسقط الى الخلف كما لو انها
صعقت .. !

قلت : ما الامر يا عائشة ؟ اهو ميت ؟

قفزت نحوى كحيوان غاضب : يا كلب ؟ لماذا
اخفيت عنى هذا ؟ ها هنا يرقد « كالكريتش »
الضائع الذى جاء الى فى النهاية !!

ثم بدأت تبكى وتضحك .. مثل اية امرأة أخرى
فى لحظة سعادة كبرى ..

قلت : اذا لم تفعل شيئا تساعدن به رجلك
« كالكريتش » فانه لن يلبث أن يضيع ولن تنفعه
مساعدة ..

اخذت وعاء من تحت ثوبها وقالت :

— صب هذا فى فمه .. بسرعة ! .. انه
يموت . !!

كان هذا هو الوقت الملائم فقد كان وجه « ليو »
رمادى اللون . وبدأت أنفاسه تهوى وسقط فمه
مفتوحا وامسكت عائشة برأسه وصبت السائل
في فمه .

وطرا عليه تغيير طفيف أصبح وجهه أزرق ،
وبدأت ضربات قلبه التى كانت ضعيفة قبل هذا ،
بدت وكأنها تتوقف . ونظرت الى عائشة .. كانت
ما تزال تمسك برأس « ليو » .. وكان وجهها أبيض
وعيناها عميقتين كبجار الحب والخوف .. وكانت
لا تعرف اذا كان سيعيش أم سيموت ..

ومرت خمس دقائق . ورايت انها تفقد الأمل ..
قلت : هل تأخر الوقت ! ؟

أخفت وجهها بيديها ولم تقدم اجابة .

ثم سمعت نفسا يجذب بعمق ورايت حين نظرت
الى اسفل خطا من اللون يظهر فى وجهه بطيئا .

ههست : لقد انقلد !

وبدأت تبكى كما لو كان قلبها قد بدأ يتفجر ثم
توقفت .

- سينام اثنى عشرة ساعة .. وعندما
يستيقظ سيكون المرض قد تركه !

ووضعت يدها على رأسه ولمست شعره
الذهبي .. ثم قبلته برقة بالغة ووقفت !

(٢٢) اذهبي يا امرأة !

وقفت عائشة لحظة ثم جاءتها فكرة ..

قالت : كدت أنسى ! .. هذه المرأة
« أوستين » .. ما هي بالنسبة إلى « كاليكريتس » ؟
أهي خادمته ؟

- ان الذي أفهمه هو أنها ، بالنسبة لتقاليد

شعب الأحجار تعتبر زوجته ، ولكنى لست أدري ..
واسود وجهها من الغضب وقالت : واذن فانها
يجب ان تموت !

صرخت قائلاً : لماذا ؟ لماذا ؟ ! ماذا ارتكبت
من خطأ ؟؟ أم تراك ستظهرين سعادتى بعودة
« كاليكريتس » بأن تقتلى شخصاً يحبه .. تقولين
انك فى الماضى قد ارتكبت شيئاً خطيراً الى هذا
الرجل ، وانك بيديك قتلت هذا الرجل بسبب
« آمنارتاس » المصرية التى أحبها .

— كيف عرفت هذا ؟ .. لم اقل لك هذا
أبداً !

وكانت هذه مفاجأة لى !! فانا لم اقل شيئاً
أبداً عن الصندوق الحديدى والأشياء التى يحتويها .
قلت : ربما جاءتنى هذه الأشياء فى الحلم ..
ولكنها لم تكن تصفى الى .. ووقفت صامتة
لحظة ، ثم بدت كأنها تفكر بصوت مرتفع : « نعم

سأسلك سلوك الرحمة .. فليست امرأة قاسية
ولا أحب أن أرى الآخرين يتعذبون أو أن أكون سببا
في ذلك » .

ثم استدارت الى وقالت : دعها تأتي بسرعة
قبل أن أغير رأبي !

وخرجت بسرعة الى الممر وناديت « أوستين » ..
فجرت نحوى وقالت :

— هل مات سيدى ؟ قل انه ليس ميتا !!

— انه حى . « هى » قد أنقذته ..

وهوت « أوستين » على يديها وركبتها عندما
وجدت نفسها امام عائشة ..

قالت عائشة فى ابرد صوت لها : قفى ! ..
تعالى هنا .. من هذا الرجل ؟ !

— انه زوجى . اخذته بناء على عادات شعبى
يا مليكتى !

- لقد فعلت فعلا شريرا بان اخذت هذا
الرجل الذى هو غريب عن البلاد .. انه ليس واخدا
من شعبك .. والقاعدة لا تنطبق عليه . عودى الى
مكانك ولا تجبرى مطلقا على الكلام معه او رؤيته
مرة اخرى .. اذهبي !!

ولكن « أوستين » لم تتحرك ..

- اذهبي يا امرأة !!

ورفعت « أوستين » راسها . وقالت :

- كلا لن اذهب .. انه زوجى وانا احبه ولن
اتركه وليس لك الحق فى أن تأمرينى بترك زوجى !

وقلت أنا : الرحمة يا عائشة الرحمة !!

قالت عائشة ببرود : لو لم تكن عندى رحمة
لكانت الآن من الأموات .. اذهبي يا امرأة .. قبل أن
أدمرك !!

— كلا لن اذهب .. انه رجلى .. رجلى انا ..
لقد انقذت حياته .. لن اذهب أبدا .. أبدا !!

وخطت عاثشة خطوة نحوها بهذه السرعة التى
لم أستطع أنا رؤيتها .. ويبدو لى أنها ضربت
« أوستين » بخفة على رأسها بيدها .. ووضعت
الفتاة يديها على رأسها وسقطت الى الورا .. ونظرت
أنا اليها وأطلقت صرخة ، ذلك انه هناك فوق شعرها
الداكن ثلاث من علامات الاصبع ، ييضاء كأنها
الثلج ..

وضحكت عاثشة : انظنين إيتها الفتاة الطائشة
.أنى لا أستطيع أن أقتل ؟ انظرى فى هذه المرأة ..
ثم اذهبي الآن قبل أن أضربك مرة ثانية !!

ونظرت « أوستين » فى مرآة « ليو » المعلقة
على الحائط .

— لو رايتك مرة اخرى فستكون عظامك اكثر
بياضا من العلامات فوق رأسك !

وخرجت الفتاة المسكينة من الغرفة وهي
تجربى .. واستدارت عائشة نحوى وقالت :

- سأنبئ خدمنى أن يحملوا سيدى
« كالكريتس » الى غرفة بالقرب منى حتى استطيع
أن أسهر عليه حين يستيقظ .. وستأتى انت أيضا .
ومعك خادمك .. ولا تقل « لكالكريتس » كيف ذهبت
هذه المرأة ولا تقل الكثير عنى !

وخرجت ، وبعد ذلك بقليل جاء الخدم لينقلوا
حوائجنا ..

(٢٣) حفلة الرقص .

جاءت اللحظة التي رأت « عائشة » أن « ليو » سوف يستيقظ فيها وقالت :

— سترى يا « هوالى » أنه عندما يستيقظ سيكون الممرض قد تركه .. !

واذ قالت هذا كان « ليو » قد استدار وفتح

مينيه .. وقال لتوه اذ لمح « عائشة » : هاللو
« أوستين » .. لماذا غطيت رأسك هكذا ؟ ! ..
هاللو « جوب » .. الى ماذا وصل بنا الحال . ! ؟

فقال « جوب » : لا اعرف في الحقيقة
يا سيدى .. ساذهب واحضر لك بعض اللبن . !

ونظر « ليو » مرة أخرى الى « عائشة » **وقال :**

— ليست هذه « أوستين » .. أين « أوستين » ؟

قالت « عائشة » : لقد ذهبت وانا الان مكانها !

وبعد ذلك بقليل خر « ليو » نائما من جديد ..

وفي اليوم التالى كان بخير تقريبا وكان جرحه
قد اندمل .. وظلت « عائشة » تعنى به .. ولكنه
استمر يسأل عن « أوستين » .

وكان شديد الفضول حول « عائشة » وطلب
كثيرا ان يرى وجهها .

ومع أنى لم أقل شيئاً فقد اعتقد أنها كانت
السيدة التى تكلم عنها الابريق المحطم .

وفى اليوم الثالث ، بعد أن انتهينا من تناول
الافطار ، ذهبنا الى غرفة « عائشة » كان « ليو »
يريد أن يقدم اليها شكره على أنها عملت على شفائه ..
ولكى يسألها عن « أوستين » ..

قالت « عائشة » : احبيك .. كما أنى سعيدة
لرويتك بخير من جديد !

انحنى لها « ليو » ثم شكرها من جديد على
ما فعلت .. وقال لها هذا بأفضل ما لديه من صيغة
عربية .

واجابته هى قائلة : ارجو أن يكون خدمى قد
بدلوا اقصى وسعهم للعناية بك .. أهناك شىء يمكن
أن أقمله من أجلك .. ؟

قال « ليو » : نعم أريد أن أعرف أين هى
السيدة ، أعنى « أوستين » التى كانت معى .. ؟

فقالـت « عائـشة » : آه .. نعم .. الفتاة ..
نعم لقد قالت انها ذاهبة .. ولقد رتبـت الامور
لاجراء حفلة رقص مساء اليوم .. ربما راقك ان
تحضرها .. لكن دعنى اولا اعرض عليك بعض
عجائب الكهوف والمغارات ..

لم يكن « ليو » يستطيع ان يلقى المزيد من
الأسئلة .. وارسلـت « عائشة » خادمتين ليحضرا
المصاييح ويرشدا الى الطريق . وعرضت عليه الكتابة
المدونة فى الكهف الكبير ، وعلى الحجر المستدير ، وفى
المكان العميق .. وعرضت عليه أيضا الكثير من
الموتى المحفوظين فى الكهوف .. وكان « ليو » طبعاً
شديد الانبهار بكل ما رآه اما « جوب » فقد أصابه
الرب .

وبعد ان تناولنا وجبتنا بقينا قليلا ثم عندما
جاءت الساعة السادسة ، عدنا الى غرفة عائشة ..
وكان « جوب » ما يزال مرعوباً اذ جعلوه ينظر الى

« صور موجودة في الماء » .. ثم جاء « بلال »
ليخبرنا بأن الرقص على وشك أن يبدأ .

كان الرقص سيدور في الهواء الطلق في المكان
الفسيح الواقع أمام المغارة .

وكان الليل يوشك أن ينسدل .. وتساءلت أنا
عما يمكن أن تكون قادرين على رؤيته من الرقص .

وفجأة رأينا رجالا يعدون من كل مكان حاملين
أشياء تشتعل فوق أكتافهم .. ثم اخلوا يلقون هذه
الأشياء في أكوام وسط المكان الفسيح . وكان « ليو »
أول من اكتشف حقيقة ما يحملون .

صاح قائلاً : يا للسماء . ! هذه الأشياء المشتعلة
هي أجسام الموتى .. تلك الجثث المحفوظة التي
رأيناها .. وهي التي تحترق كالشمع . !!

وكان نور الاضاءة قد اعد .. وجاء الراقصون .
كان هناك حوالي مائة رجل ومائة امرأة . جاءوا

صامتين يسرون في صغين . وأدبت الرقصة في سكون تام .. وبدا وكأنها رقصة تروى قصة قتل مرعبة ! . ولكنى لم أفهمها تماما . كانت كلها قصة بشعة رديئة !!

ثم رأيت ما بدا وكأنه قرد أو سعدان يمشى حول النار ، ثم جاء أسد ، ثم قطعان من الماشية وصفوف من الطبيان وحيوانات النهر وثمان كبير وكان كل هؤلاء بشرا . يرتدون جلود الحيوان . ولما اجتمع جمعهم بدأوا يرقصون ويحدثون أصواتهم الحيوانية المختلفة ..

وسالت « عائشة » عما اذا كان يمكننى أن أذهب أنا و « ليو » نتمشى قليلا حتى نستطيع أن نرى الحيوانات عن قرب ..

وبدأنا ندور من جهة اليسار ..

ولاحظت أن احدى الراقصات كانت لبؤة خفيفة الحركة نشيطة قد فصلت نفسها عن الراقصين

وفجأة أخذت هذه الراقصة تجرى أمامنا في الظلام
البعيدة . وعندما مرت بنا سمعنا كلمة « تعال ! » ..
وكان هذا صوت « أوستين » .. !

واستدار « ليو » على الفور وتبعها ، وسرت أنا
وراءه وقد أثلج أطرافي خوف شديد من هذا
الاجتماع !!

وسمعتها تهمس : يا للسماء .. ! اسمع ..
انى أعيش فى خطر على حياتى من هذه - التى -
يجب أن تطاع .. ألم يخبرك « السعدان » كيف
طردتنى ؟ لقد أنقذت حياتك مرة .. وأنت لن تتركنى
الآن وتتخلى عني !!

فقال « ليو » على الفور : كلا .. طبعاً !

- هناك شيء واحد نفعله . يجب أن نهرب !!
خلال الأرض المنخفضة !! يجب أن نهرب بسرعة !!
بل انها ربما تسمع الآن أصواتنا !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ، فسقط عنها رأس
اللبؤة . ورأيت أنا العلامات ، علامات الاصبع البيضاء
على شعر رأسها الملتصع في ضوء النار ثم سمعت ضحكة
صغيرة وراءنا ..

كانت « هي » .. ومعها « بلال » ..
وخادمان . !!

• (٢٤) السحر •

ساد سكون مخيف ..

وقالت « عائشة » أخيراً : « أوستين » ما كان
لى أن الحظك لولا اننى رايت تلك العلامات البيضاء
على شعرك !

روابت اشارة فجاء الخادمان وامسكا بالفتاة

من كل ذراع . وقفز « ليو » الى الامام والقى بواحد
من الرجلين الى الأرض ..

— لقد احسنت القاء ذلك الرجل .. ولكن دع
الرجل الآن يفعل ما امرته به .. لن يحدث اذى
بالفتاة على الاطلاق .. ان هواء الليل بارد وسيحملها
الى غرفتي ..

وذهبنا الى غرفة « عائشة » وامرت « جوب »
و « بلال » ان يذهبا ، واستدارت الى وقالت : اكان
هذا من عملك ؟

قلت : لا ..

قالت : واذن فالخطأ خطأها . الديك شيء
تقولينه يا امرأة ؟

ورن صوت « اوستين » غنيا واضحا ..

وقالت : لست ملكة ولا سحر لدى .. ولكن
قلب المرأة يمكن ان يعرف .. وهناك ايضا ضوء

يومض داخل نفسى وبهذا الضوء فانى استطيع ان ارى
الحق .. عندما عرفت سيدى لأول مرة عرفت ان
الموت سيكون ثمن حبى ، ولكن حبى كان اقوى من
الموت .. وأنا أعلم الآن ، وأنا على حافة الموت ، أعلم
انك لن تكسبى شيئاً على الاطلاق بقتلى .. انه
رجلى ، رجلى ، رجلى دائماً .. ولن ينظر اليك فى
عينيك ابدا ويدعوك زوجته . ان نهايتك قريبة .
انى ارى .. !

وكانت هناك صرخة فزع وغضب ، لقد نهضت
« عائشة » ومدت ذراعها نحو « أوستين » ونظرت
اليها .. وعندما نظرت بدت عيناها كأنها نار !!
ووضعت « أوستين » يديها على رأسها وأطلقت صرخة
واحدة وسقطت الى الخلف هاوية على الأرض .
واسرعت اليها انا و « ليو » ولكنها كانت ميتة .. !

وقف « ليو » واستدار نحو « عائشة » .. كانت
قد رفعت النقلاب عن وجهها . وثبتت عينيها اللامعتين
العميقتين عليه .. وزال الغضب من وجهه .. ووقف

هناك كأنه تحول حجرا .. ورأيت قوة سحرها
تسيطر على ذهنه ، وجمالها يجلب منه قلبه ورأيته
يناضل ويستدير كأنه سيهرب ، ولكن عينيها أمسكتها
به .

وبدأت تغنى بصوت خفيض ..

وجاء اثنان من الخدم بسرعة الى الغرفة وحملا
جثة « أوستين » الى الخارج ..

(٢٥) الميت والحي يلتقيان

واستيقظت كأنى كنت فى حلم .. لقد توقفت
« عائشة » عن الغناء ..

تحركت « عائشة » وأعطت « ليو » مصباحا ..
وتبعناها .. وقادت الطريق هابطة من سلم ، وكان
السلم شديد التآكل .

قالت : لقد أبلى وقع خطواتي ، طيلة ألفى
عام ، هذا الصخر !

وذهبنا بطول ممر وجئنا الى ستار لم اكن قد
رايته قبل الآن .. **وقالت :**

— لقد رقدت هنا ، ليلة بعد ليلة ، منذ ذلك
اليوم .. هنا حيث يرقد . تعال يا من أملكه وانظر
الى هذا الشيء الرائع .. انظر نفسك يا « كاليكريتس »
كما راقبتك كل هذه الأعوام !

وجذبت القماش من الهيكل الراقد على الصخر
البارد .

— انظر كيف يلتقى الحى مع الميت .. !!

وامامنا رقد لابسا الأبيض ومحفوظا حفظا كاملا
ما بدا لنا انه جسم « ليوفينسى » ونظرت أنا الى
« ليو » ، واقفا هناك حيا و « ليو » راقدا هناك
ميتا ، ولم أستطع أن أرى اختلافا .. !

وقف « ليو » ينظر الى هذا الشيء ولم يقل
شيئا . ثم همس قائلا : فطه !

قالت : انتظر .. ان عملى الشرير لا ينبى ان
يخفى عنك افتح الفطاء فوق الصدر يا « هولى » !
وازحت القماش جانبا . وهناك ، فوق
القلب ، كان يظهر اثر من جرح حربة .. وقالت
(« عاتشة ») :

— لقد قتلتك .. وكان ذلك فى « مكان الحياة »
بسبب المرأة المصرية « أمينارتاس » .. ولكن هذه
الجثة الباردة الآن ليست الا ذكرى .. لقد انتهت
عملها ..

واخذت جرة كبيرة من رف عال . ونزعت
الفطاء وقبلت الوجه البارد . ثم صبت السائل من
الجرة فوق الجسم . وصعد دخان كثيف فملا الكهف
كله حتى لم نستطع أن نرى شيئا . وعندما تفرقت
السحب أخيرا وذهبت بعيدا عن المكان الذى كانت فيه
الجثة رأينا فقط كومة من الرماد الأبيض !

قالت : الآن اتركنى ونم لأننا سيكون علينا
أن نذهب عند المساء فى رحلة طويلة .

ولست ادرى كيف وصلنا الى غرفتنا .. وعندما
وصلنا سقط هو على سريره وكاد يبكى ..

وقال : لم اكن مستطيعا أن أمضى .. ولم اكن
مستطيعا ان اتركها .. قدمائى لم تستطيعا حملى ،
وكان ذهنى صافيا وكنت اكرهها داخل عقلى ، او على
الأقل فانى اظن ان الأمر هكذا . ولكنى اعلم انى
سأفعلها غدا مرة ثانية . وانا واقع فى قبضتها الى
الأبد !

وانا ايضا رأيت « عائشة » بلا قناع . ولم ادر
بماذا أجيب .. وأعلم ان ما قاله كان صادقا ..

(٢٦) خطة عائشة

في اليوم التالي ذهبت أنا و « ليو » في جولة طويلة ، فشاهدت شعب الأحجار يعملون في الحقول . .
كان البعض يلقون البذور من أجولة معلقة على اكتافهم ،
كما كان الرجال في انجلترا يفعلون منذ مئات السنين .
لقد كان امرا مريحا للنفس أن يرى المرء مجموعة من

الناس البسطاء يفعلون أشياء بسيطة . وتكلمنا قليلا .

وبعد تناول وجبتنا خرجت وسرت من جديد وعندما عدنا قابلنا « بلال » وأمرنا أن نذهب لرؤيتها .

وعندما انصرف الخدم طلبت إلينا « عائشة » أن نجلس ثم **قالت :**

– يا كالكريتس ، قبل أن نصبح رجلا وزوجته يجب أن تصبح مثلى : بلا موت !!

وعجبت ماذا سيحدث بعد هذا .. واستمرت « عائشة » **قائلة :**

– سنبدأ هذا المساء قبل غروب الشمس .. ولبيل الغد سنكون قد وصلنا « مكان الحياة » .. وهناك ستستحم في النار وتخرج منها كما لم يخرج رجل من قبل أبدا .. !

ولم استطع أن أسمع ماذا أجاب « ليو » على هذا المشروع المثير ومضت **فقالت :**

— وانت يا « هولى » .. لقد أسعدت قلبى
بأعمالك ولذلك فسوف تجيء معنا .. !

لم يكون بى رغبة أن أجعل حياتى أطول مما أعدته
الطبيعة ولكنى لم أقل شيئا . وساد بعض الصمت
ثم سألت :

— قل لى يا كالكيريتس كيف حدث أنك جئت
تبحث عنى ؟

فاخبرها بقصة الصندوق الحديدى وما فيه من
كتابة ..

وعندما انتهى سألت « هى » : واذن فان
« امينارتاس » التى كرهتنى هذه الكراهية كانت هى ،
فى النهاية ، سبب مجيئك الى هنا .. والان اخبرنى
عن بلادك أنك طبعا تحب أن تعود اليها .. فانى لا أعنى
أن عليك أن تعيش فى كهوف « كور » الى الأبد وأنه
ليسعدنى أن تتركها .. ستحكم أنجلترا .. !

— ولكن لدينا ملك وملكة بالفعل !

**فقال عائشة : هذا امر لا يهم فانه يمكن
طردهما او قتلها !!**

وحاولنا ان نفسر لها اننا نحب ملكنا وملكنا
وانه ليست لنا اى رغبة فى تدميرهما .. ولكن
بلا جدوى ..

**قالت : هذا شيء غريب ! ملك وملكة يجهما
الشعب . لقد تغير العالم كثيرا منذ جئت الى
« كور » . انى لا افهم ما تقول ..**

وحاولنا ان نفسر كيف ان بلادنا يحكمها شعبنا
وكيف تصوغ قوانينها .. **فضحكت وقالت :**

**– القانون ! انا فوق القانون ..والآن اتركونى ..
واستعدوا للرحلة !**

وبدا الاجتماع كله كحلم ردىء . وعندما سرت
عائدا الى غرفنا جال فى خاطرى كيف انه يحدث
لو كان بلد على رأسه ملك لا يموت ابدا .. اظن ان
ذلك يتوقف على مدى ما فى هذا الملك من طيبة
او شر ... !

(٢٧) خرائب كور

لم تكن الرحلة لتدوم أكثر من ثلاثة أيام ، لذلك
أخذنا ثيابا نظيفة وحملنا بنادقنا . وعند غروب
الشمس ذهبنا الى غرفة « عائشة » ووجدناها
مستعدة تماما . وعند فتحة مدخل الكهف كان هناك
في انتظار « عائشة » مقعد وستة رجال ومعهم
« بلال » . اما نحن الآخرون فكان علينا ان نمشي
ولم يكن يراقبنا احد ونحن نبدأ السر . . واعتقد

أن كل الناس قد أمروا بالابتعاد حتى لا يعرف أحد
أنا قد رحلنا .

ثم قطعنا الطريق عبر الوديان التي كانت مرة
قاع بحيرة . وبعد أن ظلنا سائرين حوالى نصف
ساعة اقتربنا من خرائب مدينة « كور » القديمة ..

كانت الشمس تغرب عندما وصلنا المكان وسرنا
عبر قنطرة تقودنا الى المدينة .. واذا وقفت على
الجسر نظرت الى اسفل حيث تمتد اميال من الخرائب:
منازل الاغنياء الكبيرة .. ومنازل الفقراء الصغيرة ..
والحدائق التي زادت فيها النبات عن طوقها ..
والطرق المتقاطعة .. والميادين المربعة والأسقف التي
آلت الى الانهيار .. وكانت الأشجار والأعشاب
الكبيرة قد انبثقت الآن من بين الأحجار الكبيرة التي
مدت فوق الطرقات ، الا أن المرء كان يستطيع أن
يتصور شكل ما كانت عليه الأشياء .. فى ضوء
الشمس الأحمر وهى تغرب ..

كان فى وسط المدينة بناء جد كبير .. وكانت

حوله عدة أروقة ، الواحد منها داخل الآخر .. كان
هذا مكان الآلهة التى يعبدها شعب « كور » ..
ووقف خدم « عائشة » فى مدخل هذا المبنى المركزى .

وقالت « عائشة » : يوجد هنا مكان لكم أن
تقضوا فيه الليل . ومنذ ألفى عام جئت هنا أنا
وكاليكريتس والمرأة المصرية .. لعل هذا المنزل قد
هوى منذ ذلك الحين .

وصعدت (هى) بضع خطوات فى الممر الخارجى
ونظرت فيما حولها ثم قالت : « انه هنا » !!

وصعدت (هى) الى حجرات كانت محفورة
بداخل الحائط .. ودخلنا .. وتناولت أنا و « ليو »
و « جوب » وجبة طعام ، واكلت « عائشة » بعضا
من الفاكهة ..

وقالت « عائشة » : لقد اثبت بكم هنا حتى
يمكنكم أن تروا القمر يسطع فوق خرائب « كور » ..
وعندما تنهيأون سنخرج ونشاهد أطلال هذا المكان

ونرى رب شعب « كور » الذى كانوا يعبدونه فيما مضى .

ومررنا فى بهو بعد بهو .. اخل كل منا بهمس الى الآخر .. وسط السكون ، بين قاعات بلا اسقف وامام نوافذ عالية يضيؤها القمر .. وسقط الضوء الابيض على السكون المنقطع الانفاس لا يقطعه الا صوت خطواتنا .. ودقيقة بعد دقيقة ظلت الاشباح الصامتة تتحرك عبر الأفنية التى نمت فيها الحشائش ..

قالت « عائشة » اخيرا : تعالوا وساريكم اعظم دعوة فى المكان .. ساريكم الربة التى عبدها شعب « كور » !

ودخلنا الى اقصى الأفنية فى الداخل وفى وسطه كان مربع كبير من الصخر وفوقه كرة من حجر اسود عرضها عشرون قدما .. وينهض فوق الحائط تمثال يصور امرأة ذات اجنحة منبسطة مصنوعة من الحجر

الأيض الصافي .. كانت ذراعاها ممدودتين وعيناها
عليهما نقاب .

سالت : من هي ؟

قالت « عائشة » : الا تستطيع أن تخمن ؟

وقادت جماعتنا الى قدم التمثال وقرات الكتابة
الحفورة في الصخرة :

اجلبب النقاب وانظر الى الحق ..

وجها لوجه ولكن الموت نفسه ..

هو الذى يمكنه أن يجلبب النقاب ..

وقالت « عائشة » : كان الحق هو الهة شعب
« كور » !

(٢٨) داخل جبل النار

في اليوم التالي استيقظ الخدم قبل أن يظهر
ضوء النهار ، ووجدنا « عائشة » مغطاة بمعطف داكن
اللون ، تنتظرنا في الخارج ولاحظت أنها بدت أكثر
حزنا وقلقا ..

سألها « ليو » : هل نمت جيدا ؟

قالت « هي » : يا كاليكرايتس لقد دهمتنى
أحلام زديئة ولست أدري ماذا تعنى هذه الأحلام ..
ولكن كيف يمسنى اى شر ؟ انى اتساءل .. اذا
ما حدث لى شيء أترك تفكر فى برقة .. ؟

ولم تنتظر اجابة .. وسريعا ما تركنا المدينة
المخرية وراءنا .. وعند منتصف نهار اليوم توقفنا
لراحة قصيرة وتناول وجبة طعام .. وفى الساعة
الثانية كنا عند سفح جدار عال من الصخرة ينهض
حوالى ألف وخمسمائة قدم .

قالت « عائشة » : ان الناس يسمون هذا المكان
جبل النار .. ولكن أحدا لا يجرؤ أبدا على الاقتراب
منه ونحن نترك البخدم هنا .. وأنت يا « بلال » امكث
معهم .. ولك ان تنتظر تحت هذه الأشجار هناك ..
ونحن سنعود الى هنا غدا عند الظهر .. وإذا لم
نحضر فعليك ان تنتظر .

واشارت هى الى « جوب » وقالت : هذا

الرجل من الأفضل أن ينتظر .. الا اذا كانت لديه
الشجاعة الفائقة .. ان اسرار المكان الذى سندهب
اليه ليست للأعين العادية .

قال « جوب » عندما سمع هذا : لا أستطيع ان
أرى الآن أبشع مما رأيت .. ولا أحب ان تتركوني
هنا مع هؤلاء الناس الذين لا يستطيعون ان يقولوا
كلمة .. وقد يضعون القدر على رأسى .. انى أفضل
ان أكن معكم !

قالت « عائشة » ، عندما أخبرتها باجابه
« جوب » : حسنا .. دعوه يأتى ! .. دعوه يحمل
اللوح الخشبى !

وأشارت الى لوح خشبى يبلغ طوله خمسة عشر قدما
قد ثبت فى المقعد الذى حملت فيه « عائشة » ..
حمل « ليو » الطعام والشراب وحملت انا المصابيح
وكذلك وعاء الزيت .. وذهب « بلال » والخدم ..
واستدارت « عائشة » ونظرت الى التل ..

هـ ١١

وقلت آتيا : يا هـ .. انحن ذاهبون لنصعد

وتقدمت « عائشة » ، قافزة من صخرة الى صخرة بخفة رائعة ورشاقة كبيرة ، ونحن طبعاً كن طينا ان نتبع وان نساعد « جوب » وهو يحمل لوحه ويمضي ..

وسريعا ما وصلنا الى رف ضيق من الصخر وكان يزداد سعة عندما سرنا فيه .. الا ان طرفه الخارجى اصبح اعلى واعلى وفجأة انتهى هذا الممر الى كهف الى اليمين .. وكان كهفا طبيعيا وربما كلن نتيجة انفجار غازى كبير ..

أمرتنى « عائشة » ان أشعل المصباحين وان اضيها أحدهما ، ثم قادت الطريق هابطة الى الكهف متخيرة الطريق بحرص شديد .. فقد كانت هناك احجار كبيرة وفتحات يمكن للواحد ان يثق فيها عنقه .

ومضينا قدما فى هذا الطريق لعشرين دقيقة

او اكثر ثم وقفنا .. واذا حاولت ان انظر امامي في
الظلام هبت ربيع قوية واطفات المصباحين !

نادت علينا « عائشة » ، وتحسنا طريقنا الى
الامام وراينا امامنا شقا كبيرا في الصخور .. كان
ضوء النهار يضيئها اضاءة ضعيفة من اعلى ، وسقطت
الصخرة بعيدا هابطة في الظلام ولم نستطع ان نرى
الجانب الآخر من العتمة .. ولكن انزلت الصخرة
التي كنا واقفين فوقها الى الامام حتى تقطعت بالغة
الضيق في مقدمتها .. كنت نقطة سن القلم !

قالت « عائشة » : اتخذوا الحذر !! لا تنظروا
الى اسفل او تتركوا الريح تقتلکم فان هذا المكان
لا فاع له !!

وبدأت تسير بخطاء النقطة النهائية المستدقة
تاركة ايانا نتبعها وكنا اول الطابرين لها .. وكان
« جوب » ورائي يشد اللوح على الأرض و « ليو »
في النهاية .. وقبل ان امضي بضع يلردات وجلت
لن من الافضل ان اسير موكرا على يدي وركبتي ..

وفعل الباقون مثلى .. وقسام « ليو » بمساعدة
« جوب » فى جر اللوح . ولكن « عائشة » نهضت
واقفة ضاغطة جسمها ضد الريح . وبدت لا تشعر
بخوف أبدا ..

وسرنا عشرين ياردة ازاء الجسر الرهيب ..
وفجأة هبت ريح قوية مندفعة الى الكهف . ورايت
« عائشة » تقف ثابتة ضدها وفى مواجهتها .. ولكنها
خلعت معطفها وعرضته للريح العابية التى حملته
بعيدا كطائر لا حول له ولا قوة . وامسكت انا بالصخرة
التى بدت تهتز من تحتى .. وهناك ركعنا ، بين
الأرض والسماء ولا شيء تحتها سوى الخلاء ..
بينما اندفعت الريح القوية من فوقنا بسحب دخانية
مندفعة لازلت أحلم بها واستيقظ من نومي والرب
يتردنى حتى الآن !

صرخت « عائشة » وهى واقفة الآن مثل روح
بيضاء أمام وقالت : أماما !! أماما !! أو انكم
ستسقطون وتتقطعون قطعاً .. ! .. ابقوا أمينكم على
الأرض وامسكوا جيدا بالصخر !!

(٢٩) الحجر المتارجح

وهكذا ذهبنا مسافة لا أدري كم كان طولها حتى
جئنا أخيرا الى أبعد نقطة من الصخر . وهناك بقينا
ممسكين بأصابعنا في الأرض بينما وقفت « عائشة »
وشعرها يتطاير في مواجهة الريح . والآن رأيت لماذا
أخذنا معنا اللوح الخشبي ..

كان أمامنا مكان خال ، وعلى الجانب الآخر شيء
لم أتمكن من رؤيته ..

قالت « عائشة » : يجب أن نتنظر فريعا
ما سيطلع الضوء !

لم أستطع أن أتصور ماذا تعنى فكيف يكون
هناك ضوء فى هذا المكان السفلى المظلم ؟

وبينما كنت لا أزال أفكر فى هذا الأمر وإذا
بسيف كبير من ضوء الشمس الغاربة يومض خلال
الظلمة الى هذه النقطة من الصخرة . وأضاء هذا
النور الذهبى « عائشة » كلها بكل جمالها وروعها ..

انه هذا الشعاع من الضوء هو الذى كانت
تنتظره « عائشة » .. لقد دبرت أننا ينبغي أن نصل
فى الوقت المناسب . ورايت على بعد اثنى عشر قدما
من الصخرة ، على الجزء الآخر ، حجرا شبه بيضاوى ،
طوله عشرون أو ثلاثون قدما واقفا على ابرة من
الصخر قائما بارزا فى الظلام .. ولذ هبت الريح رايتها

تهب اماما وخلفا ، وهكذا بالضبط رقت بحيث
اشفقت ان تهب هبة ربح أقوى . قد تستطيع ان تلقى
بها وتسقطها ..

وقالت « عائشة » : هيا سريعا احضروا
ال لوح .. يجب ان نمبر بينما الضوء قائم باق .

قال « جوب » وهو يدفع اللوح امامه : ياله ..
انها طبعما لا تعنى ان نمشى هناك فوق ذلك الضوء ..

دفعت « عائشة » باللوح تخرجه بحيث استقر
طرف منه على الحجر البيضاوى الشكل ، والطرف
الآخر على نقطتنا من الصخر ..

وقالت : منذ كنت هنا اخيرا فان هذه الصخرة
لا تبقى ثابتة ولذلك فاتى غير متأكدة انها ستتحمل
وزننا ولذلك فسادهب اولا .. !

وجرت بخفة عبر الجسر وقالت هى من طرف
الآخر : انها آمنة . ساقف . ساقف عند الطرف

القصى بحيث لا يستدير الحجر تحت وزنكم . والآن
تعال يا « هولى » ان الضوء سريعا ما يزول ..

وهبطت على ركبتي .. وشجعتنى « عائشة »
قائلة :

— طبعا انك لا تشعر بالخوف .. والآن اعط
مكانا لكالكريستى !

وقلت لنفسى : انى لأفضل ان اسقط هنا حتى
لا تضحك منى عائشة !

وشعرت باللوح يكاد يضعف تحت وزنى . وانا
كثيرا ما كنت اكره المرتفعات .. وبدا ان عيني تتحولان
الى سواد وظلمة .. وشعرت بالبرودة تسرى فى كل
انحاء جسمى . وبدأت قدماى وذراعاى يتحركان دون
ارادة منى . واخيرا وجدت نفسى نائما على الصخر
الذى كان يتأرجح تحتى مثل قارب فى بحر عاصف !

وجاء « ليو » جاريا عبر الجسر كما لو كان



٢٠٧ ٠٠ كانت الصخرة تتارجح تحتى

يمشي على الجبال ، ومدت « عائشة » يدها له
وقالت : هذا عمل شجاع !

وكان « جوب » الآن على يديه وركبتيه في
الناحية الأخرى من اللوح وقال : لا أجبر أن أفعل
هذا !

وصحت به : تعال يا « جوب » .. لو بقيت
هناك ستموت وحدك فان الضوء يتلاشى ..

وقال « ليو » : تعال يا « جوب » .. انه أمر
بسيط جدا !

وجلب نفسه فاعتمد على يديه وكانت رجلاه
معلقتين بكل طرف من اللوح وعندما وصل الى
المنتصف ذهب الضوء وصرخت قائلاً : تعال
يا « جوب » ! ..

وكان الحجر الذي رقدت عليه يتأرجح ويتأرجح
بحيث أصبح من الصعب تثبيته وهتف « جوب » من

الظلام : يارب .. رحمتك !! .. ان اللوح سيسقط !

**وفي هذه اللحظة سمعت اللوح يسقط ضاربا
الحائط الصخري في طريق سقوطه !**

وتساعلت قائلا : كيف سنعود آذن .. ؟ !

**وقال « ليو » : لست ادرى .. انى شاكر اتنا
هنا سالمين !**

(٣٠) نار الحياة

قالت « عائشة » : اعطني يدك !

وشعرت كأن أحدا يقودني فوق طرف الحجر . .
ومددت رجلى ولكنى لم أشعر بشيء .

قالت : دع نفسك !

لم يعجبني هذا . وشعرت بأنى اسقط ثم

استقرت قدمي على أرض صخرية .. وكنت أشعر
بالريح تهب من فوقى ولكنى فى النهاية كنت ما أزال
فى الهواء الأمر الذى شكرت عليه الله . وسريعا
ما جاء « ليو » جانبى ثم جاء « جوب » ..

وقالت « عائشة » : اشعلوا المصابيح !

ورأيت اننا كنا فى كهف صغير ، عرضه حوالى
عشرة اقدام وكان سقفه هو الحجر المتلجج . ورأيت
« ليو » جالسا على الأرض ووجه « جوب » الخائف
وهو يجلس جانبه و « عائشة » واقفة هناك بهدوء
تنتظر اشعال المصابيح ..

وقالت : يمكنك ان تبقى هنا بعض الوقت

للراحة .. لقد كان هذا المكان منزلا لرجل
حكيم اسمه « نوت » عاش هنا وحيدا وعرف اسرار
الطبيعة . اكتشف نار الحياة ، التى ساريكم اياها !
وعظامه ترقد هنا . لم يكن ليدخل النار لانه كما قل
ان الانسان يولد ليموت . لقد جئت الى هذه البلاد
قبل وقت بعيد . واخبرنى بالبيوت ثم قابلت

« كالكريتس » واحببته وقررت ان اجيء هنا وان
اتلقى نعمة العيش الى الابد لكلينا . وعندما جنب
رايت الرجل المعجوز ، « نوت » ، ميتا !

وضعت يدي واحسست ، بالتأكيد ، بين اصابعي
باحدى الاسنان وبراس بلا عيون ترقد قرب يدي
اليسرى !!

وقالت : نعم هذا هو كل ما بقى من حكمة
« نوت » .. وانت ، يا « كالكريتس » عندما لم
تبعنى الى النار اخذت الحربة التى تحملها وقتلتك .
وبكيت لاننى لا اموت بينما تموت انت . هالك ! هذا
هو الحق !! لم اخف عنك شيئا . قل لى انك تغفر
لى ذلك وتغفر لى قتلى لتلك الفتاة التى احبتك
« اوستين » لانها عصتني !

ثم تكلمت ثانية وقالت : ارفع عنى نقابى ..
بلا خوف كما لو كنت انا مجرد فتاة قروية ولست
احكم ولا اجمل امرأة رآها العالم .. !!!

كان « ليو » شديد التأثر . لقد ذهب الآن سحر
الملكة الغريبة .. فحتى الآن كان واقعا في قبضتها مثل
عصفور أمسكت به عين ثعبان . الا ان الأمور قد تغيرت
الآن . وأدرك انه الآن يحب هذه المرأة الرائعة
الباهر !! ورأيت عينيه تمتلآن بالدموع .. وأخذ
يديها وأزاح نقابها جانبا ونظر في عينيها العميقتين ،
وقال :

— « عائشة » .. انى أحبك وانى اغفر لك !
ونزلت على ركبتيها وضغطت يده على قلبها ..
وقالت بركة :

— فى هذه اللحظة الأولى والرائعة لحبنا أعدك
بأنى سأترك الشر وأبحث عن كل ما هو خير ..
وسيرشدنى صوتك فى ممر الواجب .. ولن أبحث أبدا
عن ان أكون امرأة عظيمة وانما سأبحث فقط عن
حبك ورعايتك أنت الذى عدت الى أخيرا ..

ووقفت وأخذت المصباح وفى نهاية الكهف كان
هناك درج ، لم يصنعه الإنسان وانما كن مجرد قطع

من الصخور قامت هنا وهناك ليكون منها درج ..
وانتهت الى ممر بالغ الانحدار . ومضينا امامنا هابطين
هابطين لمدة أكثر من نصف ساعة ... ثم وصلنا الى
مكان من الضيق بحيث كان علينا أن نمر فيه واحدا
بعد الآخر .. ومنه جئنا الى كهف من الكبر بحيث لم
نستطيع أن نرى السقف أو الجدران . وعلمنا أنه كلن
كهفا فقط بصوت خطواتنا وبالهدهوء الكامل لما فيه
من هواء ثقيل ..

ومضينا امامنا في سكون وشبح « عائشة »
الابيض يبدو كأنها روح ترشدنا .. وجئنا الى كهف
ثان امامنا . ثم دخلنا كهفا أصغر من الأول ، وكلن في
نهايته ممر يخترقه ضوء خافت ..

وقالت : هذا جيد !

واسرعت امامنا على طول الممر . وأصبح الضوء
أقوى ، ثم أضعف ، ثم أقوى ثانية .. مثل أشعة
قادمة من منار يضرب بأشعته ليهدى السفن في

البحر .. ومع كل شعاع كنا نسمع صوتا عميقا كأنه عاصفة تضرب الصخور !

واستدار المر حول زاوية ركن .. ويا للسماء!!

كان هذا الكهف الثالث حوالى خمسين قدما فى الطول وثلاثين قدما فى العرض وتغطى أرضه برمال بيضاء .. ولم يكن الكهف مظلمًا مثل بقية الكهوف الأخرى ، وإنما كان مليئًا بضوء ذى ألوان وردية . وبينما وقفنا فيه نتعجب من أين تأتي أضواؤه حدث شيء غريب وجميل .. فمبر الكهف وبضجيج بدا أنه يهز الأرض والذى ملأ قلوبنا خوفا جاء حائط كبير من النيران الملونة المضيئة ذات لمعان يفوق الخيال .. وبدأت هذه النيران زهاء نصف الدقيقة واهتز الكهف بصوتها.. ثم خبت شيئا فشيئا تاركة وراءها وميضها الملون الذى شاهدناه ..

وقالت « عائشة » : تعالوا هنا .. هذه قلب الحياة وهى تضرب صدر العالم !

وتبعناها خلال الضوء الوردى حتى وقفنا أمام



النسالة ..

المكان الذي يضرب فيه ذلك القلب وحيث جاءت النيران . واذا مضينا شعرنا بقوة وحشية رائعة تسرى فينا وهو شعور كنا نحس فيه بأننا نقدر أن نفعل كل شيء وأن نجاسر بأى شيء . وشعرنا فى داخلنا بيهجة عالية وبنفس أكثر نبلا مما سبق أن عرفنا قبلا ..

وعاد صوت النيران ودارت حولنا كأنها عاصفة .. ثم جاءت النيران المتعددة الألوان .. وهوينا نحن على ركبتنا أمامها واخفينا وجوهنا .. بينما وقفت « عائشة » مادة ذراعيها نحو الضوء .. !

وعندما لمحت قالت (هى) :

— عندما تاتى النيران ثانية يا كالكريتس يجب عليك أن تقف فى وسطها !

قال « ليو » : اتى اسمعك يا « عائشة » ولكن اظنن انها لن تدمرنى بحيث افقد نفسى وافقدك انت ايضا .. ولكنى سأفعل ذلك !

وفكرت « عائشة » لحظة ثم قالت : انه ليس
من اللائق أن تخاف ، ولكن هل اذا رايتنى أقف في
النار وأخرج منها دون اذى يمسنى الا تدخل انت ؟ ..
سامتحم في حمام الحياة هذا ثانية ! .. ولا يمكننى
أن أضيف الى طول أيامى او الى جمالى .. ولكنى
متدما جثتها أولا فقد امتلأ قلبى بكراهية المصريين .
ولأمر الآن مختلف وأنا الآن مليئة بالسعادة والحب ..
وربما كانت النار ستغسلنى وتجعلنى نقية نظيفة
وأكثر ملائمة لك !

وسمعنا صوت النيران العائدة من بعيد ..

وصرخت (هى) تقول : استعد ! استعد !!

(٣١) عائشة في النار

وضعت « عائشة » نقابها جانباً واخذ شعرها
يتطاير حولها .. وانتدب الصوت .. ووضعت ذراعيها
حول عنق « ليو » وهمست قائلة :
- آه يا حبيبي .. اترك مستعرف كم أحببتك !
كان الصوت كأنه ريع عابية تمرق خلال غابة

كاملة ملقية بأشجارها أرضا . واقتربت وازداد
اقترابها . والآن أخذت أسهم من نار تنفذ خلال
الهواء ذي اللون الوردى الأحمر . ثم ظهر طرف
النار ، والتفتت « عائشة » نحوها . وجاءت الريح ،
ويسارت على هيئتها .. وبدأت كأنها ترفعها بيديها ،
وتصبها على رأسها كالمياه .. ورأيتها كأنها « روح
النار » .. ولعبت النار على شعرها .. وحول رقبتها
وبدت كأنها سكنت في هينها ولم أشهد أبدا مثل هذا
الجمال .. !

وفجأة طرا تغير على وجهها : كانت الابتسامة
قد زالت عن شفتيها وحلت محلها الآن نظرة جافة
صارمة .. وبدأ الوجه المستدير يصبح حادا قلقا
غاضبا .. ثم أخذت العيون تفقد ضياءها والجسم كله
يصبح أقل استقامة عن ذي قبل ..

وفركت عيني وظننت إن الضوء اللامع قد جعلني
أرى الأشياء على غير حقيقتها وأن النار الكبيرة قد
إخليت مراحل الآن تاركة « عائشة » واقفة هكذا .

خطت خطوة نحو « ليو » ومدت ذراعيها وكان
الذراع رفيعا . برزت فيه العظام .. وكان وجهها ..
كان وجهها يزداد تقدما في السن امام عيني ..

وقالت : ما الامر يا كالكريتس ؟ ان النار هنا
غريبة بعض الشيء لا أستطيع أن أرى بوضوح .
ورفعت يدها ، ولمست شعرها .. وسقط شعرها كله
على الأرض .. !

وصاح « جوب » : انظر . ! انظر . ! ان وجهها
يتففسن ويبدل .. انها تتقدم في السن سريعا سريعا ..
وهوت الى الأرض بلا احساس .

كان الامر حقيقيا .. رايت جلدها يتغير لونه ..
أصبح لونه أصفر داكنا ترسم عليه ملايين الخطوط
وكان صغيرا لا شكل له .. ونامت راقدة على الأرض
تحرك بضعف وموات .. هي التي كانت منذ دقائق
قليلة أبهى وأفخر امرأة وقعت عليها العين في هذا
العالم كله .. ! !

كانت تدخل عالم الموت .. وراينا ذلك كله
وشكرنا الله عليه .. ذلك لأنها لو كانت بقيت على
قيد الحياة فكيف ستكون حياتها .. ؟

ورفعت (هي) نفسها فوق عظام يديها ونظرت
حولها بعيون لا ترى .. !

وقالت : يا كالكريتس .. لا تنسني ..
واشفق على في عاري وفضيحتي .. سأتى مرة
أخرى .. وساكون جميلة مرة ثانية !

وفي نفس المكان الذي قتلت فيه كالكريتس منذ
الفي عام .. سقطت « عائشة » نفسها ميتة .. !
وهويت أنا الآخر وسقطت بلا احساس على
رمال المكان ..

(٣٢) قفزة من اجل الحياة

لست اعرف كم ساعة رقدت هناك ، ربما
ساعات عديدة .. وفي النهاية فتحت عيني ورايت
الاثنين الآخرين يرقدان على الأرض . وقفت واخلفت
القناع ووضحته على تلك التي كانت في يوم من الأيام
« عائشة » ..

ذهبت الى « جوب » وكان مستلقيا على وجهه

وقلبتہ وسقطت رأسه الى الخلف بشكل لم يد لي
طبيعيا .. ونظرت اليه : كان ميتا !!
واخيرا وقف « ليو » ..

ثم رايت شيئا آخر رهيبا .. كان شعره ابيض
في بياض الثلج وقد كبر عشرين عاما ..

قلت ان « جوب » ميت .. اوه !!! يبدو ان
ذهنه ابي ان يتلقى وقع هذا الحدث !!!

ذهبت وملأت المصابيح بالزيت من الأوعية
التي جلبناها معنا ..

وفي النهاية وقف « ليو » ثم ذهب الى « جوب »
ولمس يده .. واخذ بضع شعرات من رأس « عائشة »
وضمها الى شفتيه وهمس لنفسه : لقد هتفت بي
الا انساها .. ولن انساها ابدا ! .. سأنتظرك كما
انتظرتني !

وجدنا طريقنا بلا مشقة للعودة بين الكهوف

بلا مشقة .. فقد حرصت على ملاحظة الممر جيدا ..
وسكننا جميعا ولم يتكلم احد منا اثناء العودة ..

واخيرا جئنا الى الصخرة المتارجحة . كان
اللوح قد اختفى ولم يكن هناك غير طريق واحد يمكن
ان نقطعه ونعبره .. ووجب علينا هنا ان نقفز فوقه ..

لم اعرف ماذا كانت الساعة الآن فلقد توقفت
ساعتي ورجوت ان يكون الوقت قد قرب من
الغروب .. ورجوت ايضا ان يعود شعاع الشمس
الغاربة .. وجلسنا ننتظر دون ان نعرف ما اذا كان
سياتي ذلك الضوء وبتي ..

وبعد بضع ساعات انبثق خلال الظلام سيف من
شعاع احمر .. وقلت : ساذهب انا أولا وتجلس
انت على الطرف الآخر من الحجر لتحفظ به ثابتا ..

وبعد ذلك فعلت شيئا لم افعله منذ كان « ليو »
صبيا صغيرا .. وضعت ذراعى حوله وقبلته
وقلت : وداعا .. وآمل ان نلتقى ثانية !

ثم عدت الى ابعد ما استطعت لأحصل على
أكبر مسافة تسمح لى بالجري وانتظرت حتى جاءت
هبة من تلك الريح .. وكان أملى فى العبور انها
ستساعدنى ..

ثم علمت ، وانا فى وسط الهواء انى قد قفزت
قفزة ناقصة .. ان يدى وجسمى فقط قد وصلا
الى الأرض وبقيت رجلای فى الهواء !

ثم سمعت صرخة .. ورأيت « ليو » وسط
الهواء .. ومر جسمه سريما من فوقى .. ! وكانت
قفزته رائعة حقا .. ولقد حققها مدفوعا بالخوف
وبما بدا من فقدان الأمل فى المحاولة .. وقذف بنفسه
الى الصخرة حتى وصل الى ومد ذراعه نحوى
وسمعت قرقة عظامه وهو يشدنى نحوه بقوة رائعة
شابة .. ورفعنى رفعا حتى استطعت ان أعبر بأمان



الى سطح الصخرة .. وكنا قد تركنا مصابيحنا
وراءنا طبعاً . وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا في
الظلام . ولم تكن قد أكلنا شيئاً أو شربنا ماء عدة
ساعات وكنا نشعر بالضعف لذلك ..

ورقدنا على الأرض ثم رحنا في النوم لمدة ..
ولست أدري متى ؟ ! ثم سرنا متحسين طريقنا قدما
بقدم وبوصة ببوصة .. !!

وأخيراً عندما فقدنا الأمل تقريبا رأينا يابسا
خافتا أمامنا .. وعندما خرجنا من الكوخ كان الصباح
المبكر قد طلع ..

قلت : استمر يا « ليو » .. وأملنا ألا يكون
« بلال » قد جاء !

وبينما كنا نأخذ طريقنا على أيدينا وركبنا فوق

الصخور (ذلك اننا كنا اضعف من ان نشد قامتنا
وقوفا) رآنا احد الخدم وجرى عائدا الى الاشجار ..

ورأيت « بلال » يجرى مهرولا نحونا ..

وصرخ قائلا : يا بني .. ! .. والأسد .. !

ان شعره ابيض .. ولكن اين الآخر ؟ .. واين هذه
التي - يجب - ان تطاع .. ؟

أجبتة : ماتت .. كلاهما مات !!

(٣٣) رحلة العودة

عندما استيقظت رايت « بلال » جالسا الى
سريري . وكنت في كوخ جهزه خدم « عائشة » من
اغصان الأشجار . وفي الناحية الأخرى من الكوخ رايت
« ليو » لا يزال نائما وكان شعره جد أبيض وقد
تشققت ذراعه وجرح وجهة بفعل الصخور .. وأغلقت
عيني مرة ثانية ..

قال « بلال » : لقد نمت نوما طويلا !

فسألته : كم كان طويلا ؟

فاجاب : يوما وليلة . اخبرنى ماذا حدث ؟

لم اخبر « بلال » بكل شيء ولكنى انبأته بكل ما هو ضرورى وكنت أستطيع ان ارى انه لم يصدق ان (هى) قد ماتت .. ومع ذلك فقد قال « بلال » :

— لقد قررت بحكمتها ان تتركنا مدة من الوقت .. ولقد حدث مرة ، اثناء زمن ابى ان غابت اثنى عشر عاما ، كما قبل ايضا انها غابت كذلك اربعين عاما ، منذ زمن طويل .. ثم عادت وقضت على امراة اخرى كانت قد احتلت مكانتها كملكة تحكم شعبنا ..

ولم اقل شيئا .. وواصل « بلال » حديثه :

— والان ربما تريد ان تغادر هذه البلاد ؟ ..
لقد سمعت ان وراء الوادى الكبير .. وبعد رحلة تستغرق ثلاثة ايام عبر الاراضى الواطئة .. ثم سبعة

أيام بعد ذلك تجد بعدها نهرا كبيرا . لقد انقلبت
حياتي مرة عندما سقطت في الماء .. وأنا الآن قادر
على معاونتك ولكن انظر .. ! ان الأسد يستطيع
الآن .. يجب أن تأكل الطعام الذي أعدته لك !

وظل « بلال » غائبا طيلة اليوم التالى يعد
تجهيز الرجال ليحملونا والمرشدين ليهدونا الطريق
وقال :

— انى سأتى معكم لأنى لا أائق بهؤلاء الرجال .. !
ولن أقول شيئا عن هذه الرحلة . وسرنا خلال
الأرض الواطئة وجئنا فى النهاية الى واد مفتوح خال
من الأشجار وليس فيه علامات على مساكن الناس .
كان على « بلال » أن يعود .. **وقال :**

— وداعا أيها « السعدان » .. وداعا أيها
الأسد .. لا أستطيع الآن أن أفعل المزيد لكم ..
سأذكركم كثيرا .. !

وعاد ووقفنا نراقب صف الرجال وهم يعودون حتى
غابوا عن الأنظار .. وأخيرا وصلنا الى قرية صغيرة ،
وكان الناس فيها ذوى مودة ، وساعدونا اثناء
الطريق .. وهكذا جئنا أخيرا الى زامبيزي ووصلنا
خليج « ديلاجوا » حيث وجدنا سفينة نقلتنا الى
انجوترا ..

وليست هذه هى نهاية القصة .. القصة التى
بدأت منذ الفى عام .. ولابد ان تصل أيضا الى
الأعوام التى ستجىء .. وكثيرا ما اجلس ليلا واحاول
ان انظر فى ظلام الزمن الذى لم يولد .. واتساءل أين
وكيف سيمضى هذا الزمن .. ؟ !!

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٩
١ - كيف وصلتني هذه القصة	١٣
٢ - كيف جاء الصندوق الحديدى إلى هولى	١٩
٣ - ليو- يكبر وينمو	٢٩
٤ - فتح الصندوق الحديدى	٣٣
٥ - عاصفة فى البحر	٤٥
٦ - بعض الصدق فى القصة	٥٧
٧ - صنعونا مع النهر.....	٦٣
٨ - شعب الأحجار	٧٥
٩ - الراحة فى الكهف.	٨١
١٠ - الأيام الأبعة الأولى	٨٦
١١ - معركة فى الكهف	٩٥
١٢ - بعد المعركة	١٠٣

١٠٩ الرحلة إلى كور
١١٥ مسكن.. «هى»
١٢٣ «هى».. تريد رؤيتك
١٢٧ وحيدا مع الملكة
١٣١ عائشة ترفع الحجاب
١٤١ لعنة عائشة
١٤٧ حكم عائشة
١٥١ كهوف الموتى
١٥٩ عائشة.. وليو
١٦٥ اذهبى يا امرأة
١٧١ حفلة الرقص
١٧٩ السحر
١٨٣ الميت والحي يلتقيان
١٨٧ خطة عائشة
١٩١ خرائب كور
١٩٧ داخل جبل النار
٢٠٣ الحجر المتأرجح

٢١١	٣٠- نار الحياة.
٢٢١	٣١- عائشة في النار
٢٢٥	٣٢- قفزة من أجل للحياة
٢٣٣	٣٣- رحلة العودة